الجمـهورية الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـة 8 ماي 1945 قالمـــة
كليـــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــر

تخصص: (أدب جزائري)

حضور الأنثروبولوجيا في رواية الزِّلزال للطَّاهر وطَّار
– أنموذجا –

مقدمة من قبل: سوسن زايدي
فطيمة خلف الله

لجنة المناقشة:

الأستاذ :	الرّتبة:	الصّفة :
أحلام عثامنيّة	أستاذ محاضر أ	رئيساً
سعيد بومعزة	أستاذ محاضر أ	ممتحناً
عبد الغني خشّة	أستاذ محاضر أ	مشرفاً ومقرّرا

السّنة الجامعيّة: 2022/2021

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى قرّة عيني، إلى منبع العطف والحنان"أمّي الغالية"، و إلى من ألبسني ثوب مكارم الأخلاق والأدب وكان قوّة وسندا لي " أبي العزيز" حفظكما الله و رعاكما و أطال في عمركما.

إلى رفيق دربي الذّي شجّعني ومنحني القوّة والعزيمة، والذي ساندني و ساعدني لأتمم هذا البحث ، لك مني كلّ الشّكر والتّقدير زوجي العزيز "رمزي".

إلى كلّ أفراد العائلة

سوسن زايدي.

الإهداء

إلى روح أمّي الطّاهرة،

وكل من ساندني بحب وعطاء،

وساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

فطيمة خلف الله.

شكر و تقدير

أوّل شكر إلى ذي العزّ والجلال، فالحمد لله أن وفّقنا لنتمّ بحثنا هذا.

نهدي تحيّاتنا قبل كلّ شيء إلى أستاذنا المشرف ، ونتقدم له بجزيل الشكر والامتنان " د. عبد الغني خشّة " ، الّذي كان سندا من خلال تقويماته المنهجيّة والمعرفيّة.

إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، وكل من علّمنا حرفا ، و رافقنا خلال مسيرتنا الدّراسيّة، من الطور الابتدائي إلى الطّور الجامعي .

لكم منّا فائق الاحترام والتّقدير.

مقدمة

يعتبر الأدب منذ القديم وسيلة تعبّر بها الشّعوب عن واقعها وعن هويّتها، والأديب دائما يحاول تقديم نماذج مُصغَّرة عن الواقع الذي يعيشه مجتمعه من أحوال : اجتماعيّة، وثقافيّة، ودينيّة وسياسيّة ...ويقدّمها لنا من خلال العمل الأدبي سواءً كان روايةً أو شعرًا دون حاجة للتّنقل، فهو ينقله من خلال ما يسرده من تفاصيل تشير إلى تلك الخصوصيّات الحياتيّة والواقع المعاش للإنسان. وكذلك الأنثروبولوجيا، وهي علم دراسة الإنسان في مختلف جوانبه الاجتماعيّة، والثّقافيّة، والفيزيائيّة، وكل ماله علاقة بحياة الشُّعوب.

تُعدُّ الرّواية جنسًا أدبيّا يعبّر عن خلفيّات ومرجعيّات الأمم المختلفة، وتعكس صورة المجتمعات وطرق تفكيرهم وعيشهم في الماضي والحاضر ، فأصبحت الرّواية بذلك في الوقت الرّاهن تمثّل ديوان الحياة المعاصرة، لأنّها خلقت لنفسها مكانًا في عالم الأدب المعاصر من جهة، ودخلت مُعترك الحياة لتعالج قضايا الواقع ومشكلات الإنسان بوجه آخر من جهة أخرى، وهذا ما جسّده "**الطّاهر وطّار**" في روايته"**الزّلزال** "، حيث جعل من التّيارات الثّقافيّة والاجتماعيّة مادّة خصبة لنصّه الرّوائي.

لهذا وقع اختيارنا على هذه الرّواية، لما تحفل به من أبعاد أنثروبولوجيّة ، فجاء بحثنا موسومًا ب : "**حضور الأنثروبولوجيا في رواية الزّلزال للطّاهر وطّار** "، ويعود اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب ذاتيّة وأخرى موضوعيّة :

فأمّا الذاتيّة فميولنا لعلم الأنثروبولوجيا بحكم دراستنا له كمقياس ، ولكونه ملمًّا بمختلف اهتمامات الإنسان من ثقافة ، وفكر ، ودين... وأمّا الموضوعيّة فلبروز الموروث الثقافيّ الجزائريّ في الرّواية، وتصويرها للظّواهر الاجتماعيّة السّائدة في الجزائر بعد الاستقلال، وهو ما يخدم موضوع بحثنا.

وقد أثار موضوع هذا البحث إشكاليّة رئيسيّة تتفرّع عنها إشكالات ثانويّة، أمّا الرّئيسيّة فهي: "**كيف تجلّت الأنثروبولوجيا في رواية الزّلزال؟**". أمّا عن التّساؤلات الفرعيّة فهي كالتّالي:

–ما مفهوم الأنثروبولوجيا؟ ومتى نشأت؟ وما هي أنواعها؟

–ما علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى ؟.

-ما هي المضامين الأنثروبولوجيّة التّي يكشفها هذا النّص الرّوائي؟.

وسعينا من خلال هذه الدّراسة إلى جملة من الأهداف لعلّ أبرزها:

- **التّعرف على علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب عامّة، وبالجنس الرّوائي خاصّة.**
- **إبراز التّجليّات الأنثروبولوجيّة في الرّواية.**
- **السّعي إلى معرفة قدرة المنهج الأنثروبولوجي على استنطاق النّص الرّوائي .**

وقد قمنا بتقسيم بحثنا إلى مقدّمة، وفصلين أحدهما نظري، والآخر تطبيقي، تذيلهما خاتمة.

تناولنا في المقدّمة إشكاليّة البحث، والأهداف والمنهج المتّبع للدّراسة .

وجاء الفصل الأول بعنوان "**لمحة عامّة حول الأنثروبولوجيا** "، وفيه تناولنا مفهوم الأنثروبولوجيا ، ونشأتها عند الإغريق القدامى ، وعند الرّومان، وعند العرب ، وإلى أنواعها: الطّبيعيّة، والدّينيّة، والاجتماعيّة ، والثّقافيّة، واللغويّة، بعد ذلك حاولنا رصد علاقتها بالعلوم الأخرى : علم الاجتماع، وعلم النّفس ، وعلوم الطّبيعة والحياة، وسلّطنا الضّوء على علاقتها بالأدب عامّة ، وبالرّواية خاصّة .

و أمّا في الفصل التّطبيقي المعنون ب " **تجليّات الأنثروبولوجيا في رواية الزّلزال** " ، بدأنا بملخّص للرّواية ، ثم حاولنا استخراج المظاهر الثّقافيّة والاجتماعيّة ، المتعلّقة بالعادات والتّقاليد من لباس وطعام... والّنظم الاجتماعيّة من قرابة وزواج...

وجاءت الخاتمة حوصلة للّنتائج التّي توصّلنا إليها في الدّراسات السّابقة للموضوع، وذلك بالاستعانة بالمقاربة الأنثروبولوجيّة في الفصلين النّظري و التّطبيقي .

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر أبرزها :

- **حسين فهيم : قصّة الأنثروبولوجيا.**
- **عيسى الشّماس : مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا).**
- **الأنثروبولوجيا (مدخل لدراسة الإنسان) من تأليف : نخبة من أعضاء هيئة التّدريس بقسم الأنثروبولوجيا .**

ولعلّ أهم المشكلات والصّعوبات التّي واجهتنا خلال إعدادنا لهذا البحث: صعوبة الإلمام بجزئيّات الموضوع نتيجة تشعّب علم الأنثروبولوجيا، مع كثرة المصطلحات الخاصّة بالموضوع . واقتضت طبيعة الموضوع اعتماد المنهج الوصفي التّحليلي ، والّذي ساعدنا في دراسة المجتمع الجزائري في الرّواية.

وفي الأخير نشكر الله عزّ وجل أن وفّقنا لإنجاز هذا البحث، كما لا ننسى أن نتقدّم بجزيل الشّكر والامتنان لكلّ من ساعدنا في إنجاز هذا العمل، ونخصّ بالذّكر أستاذنا المشرف " **د. عبد الغني خشّة**".

الفصل الأول

الفصل الأول: لمحة عامّة حول الأنثروبولوجيا

أولا: مفهوم الأنثروبولوجيا

ثانيا: نشأتها: 1. عند الإغريق القدماء

2. عند الرّومان

3. عند العرب القدامى

ثالثا: أنواعها: 1. الأنثروبولوجيا الطّبيعيّة

2.الأنثروبولوجيا الدّينيّة

3. الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة

4. الأنثروبولوجيا الثّقافيّة

5. الأنثروبولوجيا اللّغويّة

رابعا: علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى:

1. علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع

2. علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النّفس

3. علاقة الأنثروبولوجيا بعلوم الطّبيعة والحياة

4. علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب

5. علاقة الأنثروبولوجيا بالرّواية

أولا : مفهوم الأنثروبولوجيا :

الإنسان كائن فريد من نوعه، كان ولا يزال موضع التّأمل والدّراسة من قبل كثير من العلوم طبيعيّةً كانت أم إنسانيّة. و من بين العلوم التّي اهتمّت بدراسة الإنسان نجد" الأنثروبولوجيا" "anthropology" باعتبارها "**العلم الذّي يعنى بالإنسان طبيعيّا، واجتماعيّا، وحضارياً**"[1]

و عليه نطرح التّساؤل التّالي: ماذا يعني مصطلح الأنثروبولوجيا؟ ما موضوعها؟ و كيف ظهرت؟.

***1*- التّعريف الاشتقاقي** :(**la définition étymologique**):

قبل الخوض في هذا المصطلح علينا العودة إلى جذوره اللغويّة، فمصطلح الأنثروبولوجيا **منحوت من** كلمتين يونانيتيّن هما « **Anthropos** »وتعني (إنسان)، و « **logos** »وتعني (علم)، وتعنيان معاً (علم الإنسان)[2]**"Science de l'homme"** ، لذا فالأنثروبولوجيا تقوم بدراسة الإنسان، وتطوّره، وتميّزه، وسلوكه، وأعماله، وأيضا محاولة التّنبّؤ بالمستقبل معتمدا على تطوّره عبر العصور والأزمنة.

2-التّعريف الاصطلاحي:(**définition terminologique**):

إنّ الباحث في علم الأنثروبولوجيا يجد تعدُّدا في مفاهيمها فلا نكاد نجد تعريفا موحّدا، وشاملاً لها، فكلٌّ واحد يعرفّها وفقا لآرائه، و مذاهبه و توجّهاته .

و يعرّفها نبيل الحسني بأنّها " **ذلك العلم الشّمولي،الذي يدرس الإنسان و أعماله،الذي تتمحور أبحاثه حول طبيعة الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني** "[3]؛ أي أنّ الأنثروبولوجيا تُلمُّ بجميع جوانب حياة الإنسان بما في ذلك نشأته،و تطوّره و نموّه،وصناعاته ، ولغته،وأفعاله،و تركيبته الجسمانيّة.

[1]-شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا(عربي – إنجليزي) ،جامعة الكويت،ط1، 1981،ص 56.

[2]-المرجع نفسه ،ص 56 .

[3]-نبيل الحسني: الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسن، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية ،كربلاء،العراق،ط1 ،2009 ، ص 15.

بينما يرى زكي محمد إسماعيل أنّها "**العلم الذي يدرس الإنسان سواء من حيث صفاته ومقاييسه، أو من حيث أسلافه وأجداده الأوائل** "[1]. مركّزًا على بنية الإنسان و تطوّره عبر العصور بينما أهمل جوانب أخرى كالعادات و التّقاليد و الثّقافة.

أمّا مارك أوجيه « Marc Augé» يرى أنّها تعني كل "**ما له علاقة بالتّنوع المعاصر في الثّقافات الإنسانيّة،لهذا القبول حسنته،إذ أنه يشير إلى أكبر قدر من الموضوعيّة باستبعاد فكرة مجال مغلق مؤلّف من مجتمعات بدائيّة، متقوقعة في تاريخ جامد**".[2] ونلاحظ في هذا التّعريف تركيزاً على جانب واحد فقط من الأنثروبولوجيا ألا وهو الإثنولوجيا، التّي تهتمُّ بدراسة الشّعوب البدائيّة.

و يُعرّفها إدوارد تايلور"Edward Burnett Tylor" على أنّها " **الدّراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان،إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجيّة الموروثة للإنسان،وما يتلقّاه من تعليم و تنشئة اجتماعيّة** "[3]؛ أي أنّ الأنثروبولوجيا مجالها واسع .

أمّا مرجريت ميد" Mead Margaret" فتعرّفها بقولها: "**نحن نصِف الخصائص الإنسانيّة، البيولوجيّة، والثقافيّة للنّوع البشري عبر الأزمان و في سائر الأماكن، ونحلّل الصّفات البيولوجيّة والثّقافيّة المحليّة، كأنساق مترابطة ومتغيّرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطوّرة،كما نهتمُّ بوصف و تحليل النُّظم الاجتماعيّة و التّكنولوجيا، ونعني أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان،وابتكاراته و معتقداته ووسائل اتّصالاته**"[4].

و من خلال التّعريف السّابق نجد أنّ الباحثة الأنثروبولوجيّة الأمريكيّة قد ركّزت في تعريفها على دراسة الإنسان من النّاحية الجسميّة (الجسد ،البشرة ،القامة)،و من النّاحية الثّقافيّة (كالعادات والتّقاليد) التّي تميّز إنسانا عن الآخر باختلاف مجتمعه، و العصر الذي عاش فيه، وكذلك من ناحية

---

[1]–زكي محمد إسماعيل: الانثروبولوجيا والفكر الإسلامي، دار الزهراء، الرياض، ط2، 2002،ص 14.

[2]–مارك أوجيه وجان بوكولاين :الأنثروبولوجيا ،تر: د.جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، لبنان، ط1، 2008،ص 14.

[3]–عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) ،إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،دط2004،ص13 .

[4]–حسين فهيم :قصة الأنثروبولوجيا ،سلسلة كتب ثقافية شهرية،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،دط،1978م، ص 14 .

المضامين الاجتماعيّة، بالإضافة إلى دراسة الفرق بين الإنسان البدائي والإنسان المعاصر وفق تقنيّات، ومناهج حديثة ومتطوّرة.

في التّعريفات السّابقة لا يوجد مفهوم موحّد للأنثروبولوجيا غير أن جميعها تصبُّ في قالب واحد ألا و هو دراسة الإنسان من مختلف جوانبه، و في كلّ زمان و مكان.

ثانيا : نشأة الأنثروبولوجيا :

لقد عمد العلماء والفلاسفة عبر التّاريخ الإنساني إلى وضع نظريّات تفسّر طبيعة المجتمعات البشريّة وما يدخل في نسيجها، وبنيتها من دين أو سلالة أو عادات وتقاليد، وهو ما يجعلنا نقرّ أنّه بالرّغم من أنّ الأنثروبولوجيا علم حديث إلّا أنّ بوادره الأولى ظهرت منذ العصور القديمة، حيث ساهم في نشأته مفكّرو العصور والحضارات المختلفة، وخاصّة مساهمة مفكّري الحضارة الإغريقيّة اليونانيّة والحضارة الرّومانيّة والعرب القدامى.

1- عند الإغريق القدماء:

يذهب معظم المفكّرين إلى أنّ بداية هذا العلم كان مع "**هيرودوت**" (القرن 5 ق.م) الذي يعدّ من الباحثين الأوائل لعلم الأنثروبولوجيا، فتأثيره واضح في نشأة وتطوّر هذا العلم، حيث استطاع – في وقت مبكر – أن يطرح فكرة وجود تنوّع بين الشّعوب في مختلف النّواحي، إذ:" **اكتسب هيرودوت معرفة وثيقة بالعديد من الشّعوب الأجنبيّة الّتي حافظ اليونانيّون على الاتّصال بها، واليوم تخلّد ذكرى هيرودوت في الأساس نظرا لتاريخه عن الحروب الفارسيّة لكنّه كتب بدوره قصص رحلات مفصّلة عن أجزاء متفرّقة من آسيا الغربيّة ومصر**"[1].

و قد جمع هيرودوت معلومات دقيقة عن الشّعوب غير الأوروبّية كمصر مثلا، وهو صاحب المقولة الشّهيرة "**مصر هبة النّيل** "يقول ":**والآن سأبدأ الكلام عن مصر في إسهاب، لأنّها – دون غيرها من بلاد العالم أجمع – تحوي عجائب أكثر، وآثارا تجلّ عن الوصف. و من أجل ذلك، سأطيل**

[1]–توماس هيلاند إريكسن، وفين سيفرت نيلسون: تاريخ الأنثروبولوجيا، تر: عبده الريّس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1 ، 2014 ، ص15 .

الحديث عنها؛ نظرا لأنّ مناخ مصر منقطع النّظير، ولأنّ نهر النّيل له طبيعة خاصّة مغايرة لطبيعة باقي الأنهار، لذلك اختلف المصريّون كلّ الاختلاف عن سائر الشّعوب في عاداتهم وسننهم"[1].

و قد قارن أيضا بين عدّة شعوب من حيث العادات والتّقاليد واللّباس واللّغة، ودرجة التّأثير والتّأثّر بينها ، ومدى استفادة كلّ منهما من الآخر،و يظهر ذلك في قوله:

"يبدو أن ثوب أثينا ودرعها وتماثيلها نقلها الإغريق عن النّساء اللّيبيّات، غير أنّ لباس اللّيبيّات جلديّ وأنّ عذبات دروعهنّ المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين بل هي مصنوعة من جلد الحيوان (...) **ومن اللّيبيّين تعلّم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة "**[2].ويتّضح من خلال هذا القول أنّ "**هيرودوت** "قارن بين شعبين مختلفين، وطرح فكرة وجود التّنوع والفوارق فيما بينها ، وهو ما يوافق حديثا الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة والثّقافيّة.

لقد مثّلت مؤلّفات "**هيرودوت**" محاولات أوّلية لفهم وإنشاء علم الأنثروبولوجيا، وتطوّره من خلال رحلاته الكثيرة حول العالم، وبرصده لعادات وتقاليد الشّعوب المختلفة.

2-عند الرّومان:

سار الرّومان على نفس الطّريق الذي سلكه الإغريق في دراسة الإنسان من حيث هو كائن عضويّ حيّ، يعيش في مجتمع تحكمه نظم وقوانين، وقد امتدّ عصر هذه الحضارة حوالي **ستّة قرون** فيها ":**نجد الرّومان قد تابعوا ما طرحه اليونانيّون من قضايا حول طبيعة المجتمعات الإنسانيّة وتفسير التّباين بينها...**"[3]؛ ومن خلال هذا التّتبع لم يجد الباحثون الأنثروبولوجيّون في الفكر الرّوماني ما يمكنهم الاعتماد عليه في دراستهم للشّعوب وثقافاتهم. لكن يمكن أن نستثني من ذلك أشعار " **Lucites Calus** " التّي اهتمّت بالإنسان، فقد :" **تناول عدّة موضوعات عرضها في ستّة أبواب رئيسة**

---

[1]-هرودوت: هرودوت يتحدث عن مصر، تر: محمد صقر خفاجة، شرح: الدكتور أحمد بدوي، دار القلم، القاهرة،1966 ، ص116.

[2]-خواجة عبد العزيز بن محمد: محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، غرداية: الجزائر، د.ط،2014-2015 ، ص15.

[3]-حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت د.ط ، 1978،ص38.

وضمّنها أفكاره ونظريّاته... حيث تحدّث عن الإنسان الأوّل، والعقد الاجتماعي، ونظامي الملكيّة والحكومة، إلى جانب مناقشته للعادات والتّقاليد والفنون والأزياء والموسيقى."[1]،و نجد أنّ "**لوكريتيوس**" خصّص البيت السّادس لعرض فكرتي: "**التّطوّر والتقدّم**"،و استطاع بذلك تصوير مسار البشريّة في العصور الماضية وتناول اللّغة والنّظم الاجتماعيّة والعادات والتّقاليد...

لقد اهتمّ الرّومانيّون بالإنسان، وتطوّره ، ووجدوا في أنفسهم أفضليّة عن بقيّة الشّعوب في الرّفع من قيمة الإنسان ، وفي تقسيم الشّعوب ، وتصنيفها على الرغم من بساطة تفكيرهم، وعلى الرّغم من أنّ أشعار "**لوكريتيوس** "وحدها غير كافيّة في جعل علم الأنثروبولوجيا ينسب إلى الفكر الرّومانيّ القديم.

3-عند العرب القدامى:

بينما كانت أوروبا تعيش سباتا في عصور الظّلام، كانت الحضارة الإسلاميّة في أوجّ تطوّرها، واهتمّ العرب بالبحث عن أصول الإنسان ونشأته الأولى، فبرزت عدّة موسوعات اهتمّت بشؤون العمران الذي يندرج ضمن دراسات الأنثروبولوجيا أبرزها: **"معجم البلدان" لشهاب الدّين أبو عبد الله الحموي (ق 6 هـ)** ، و **"نهاية الأرب في فنون الأدب " للنويري**، و **"مسالك الأمصار " لابن فضل الله العمري**، ،هذه المعاجم اهتمّت بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة.

وهناك من فضّل دراسة إقليم واحد مثل :**أبو الرّيحان محمّد بن أحمد البيروني** في كتابه ": **تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة** "تناول فيه النّظم الدّينيّة والاجتماعيّة والأنماط الثّقافيّة للمجتمع الهندي، ومقارنتها مع الفرس واليونان والعرب.

كما كان لرحلات **ابن بطّوطة: محمّد بن عبد الله بن إبراهيم اللّواتي الطّنجي** الأثر البليغ في التّعريف بالشُّعوب، واهتمامه بهم، وبوصف حياتهم اليوميّة، وسلوكيّاتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وقيمهم في رحلته الموسومة ب:" **تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**".

إلى جانب **ابن بطّوطة** نجد **ابن خلدون** في كتابه:" **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**"، ففي مقدّمته **"في العمران** "حاول رصد حياة شعوب شمال إفريقيا وتفسير الأنظمة الاجتماعيّة المختلفة، وسبب اختلاف ألوان البشر، وأبدانهم،

[1]-المرجع نفسه، ص39.

وأخلاقهم،"**وقد شكّلت موضوعات هذه المقدّمة –فيما بعد– اهتماما رئيسيّا في الدّراسات الأنثروبولوجيّة**"[1].

وصفوة القول أنّ الفلاسفة والمفكّرين العرب أسهموا بفاعليّة في معالجة المظاهر الاجتماعيّة والثّقافيّة، والدّينيّة، والتّنوع الثّقافيّ بين الشّعوب، وأنتجوا بذلك ركيزة يمكن اعتمادها والاستناد عليها في دراستنا لهذا العلم.

ثالثا : أنواع الأنثروبولوجيا :

نظرًا لتشعُّب علم الأنثروبولوجيا، و تعدُّد مجالاتها التّي تشمل كل ما يتعلّق بالإنسان ،فإنّ حصر جميع أنواعها صعب،إلّا أنّ التّعريف الذي وضعه الدّكتور شاكر سليم في كتابه قاموس الأنثروبولوجيا على أنّها " **علم دراسة الإنسان طبيعيًّا واجتماعيًّا وحضاريًّا**"[2] يحسم لنا مشكلة تعدّد فروع الأنثروبولوجيا، "**فيحدّدها في ثلاثة تخصّصات رئيسيّة فقط، وهي: الأنثروبولوجيا الطّبيعيّة، والأنثروبولوجيا الاجتماعيّة، والأنثروبولوجيا الثّقافيّة**".[3]

و عليه سنحاول التّركيز على أبرز أنواعها، و موضوعاتها:

1 – الأنثروبولوجيا الطّبيعيّة :(physical anthropology)

وهي العلم الذي يدرس الجانب الحيوي أو العضوي للإنسان،"**والتّي تبحث في شكلهِ من حيث سماته العضويّة ،و التّغيرات التّي تطرأ عليها بفعل المورّثات، كما يبحث في السّلالات الإنسانيّة من حيث الأنواع البشريّة و خصائصها، بمعزل عن ثقافة كل منها، و هذا يعني أن الأنثروبولوجيا الطّبيعية تتركّز حول دراسة الإنسان بوصفه نتاجًا لعمليّة عضويّة، ومن ثمّ دراسة التّجمعات البشريّة**

[1] –عيسى الشّماس: مدخل إلى علم الإنسان، منشورات إتحاد العرب، دمشق: سوريا، د.ط ، 2004 ص25.

[2] – شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا(عربي – إنجليزي) ،جامعة الكويت،ط1، 1981،ص 56.

[3] –حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت د.ط ، 1978،ص17.

/**السّكانيّة ،و تحليل خصائصها**[1] ."؛ومن خلال استقرائنا لهذا التعّريف نجد أنّ الأنثروبولوجيا الطّبيعيّة تهتمُّ بدراسة ثلاثة مجالات هي :

المجال الأول: "ويشمل إعادة بناء التّاريخ التّطوري و التّنوع الإنساني".

المجال الثاني:"يهتمُّ بوصف التّغيّرات البيولوجيّة عند الأحياء من الجنس الإنساني".

المجال الثالث:"و هو تخصّص هام في علم الأنثروبولوجيا العضويّة و يبحث في الرّئيسات، علاقاتها مع بيئاتها ،تطوّرها ،سلوكها الجماعي".[2]

و تنقسم الأنثروبولوجيا الطّبيعيّة إلى فرعين أساسيّين هما:

أ. فرع الحفريّات القديمة أو المستحاثات (**paléontologie**):

فرع الحفريّات القديمة " يدرس الجنس البشري منذ نشأته ،و من ثم مراحله الأوّلية و تطوّره من خلال ما تدلُّ عليه الحفريّات و الآثار المكتشفة أي أنّه يتناول بالبحث نوعنا البشري و اتّجاهات تطوّره،ولاسيما ما كان منها متّصلا بالنّواحي التّي تكشفها الأحافير"[3].

وهو يدرس "**حياة ما قبل التّاريخ و يشمل تطوّر الكائنات و علاقاتها بعضها البعض وعلاقتها بالبيّئة التّي تعيش فيه**"[4]. و بالتّالي فهذا النّوع يساعدنا في دراسة، و معرفة الإنسان القديم، كما يقدّم لنا صورة عن طبيعته، و محاولة التّعرف على الأسباب التي أدّت إلى تغيّره شكلاً، "**فالإنسان القديم الذي كان يعيش على هذه الأرض منذ ما يقارب من نصف مليون سنة كان يختلف عن الإنسان الحالي،حيث كان أكبر حجما و أقوى بنية إضافة إلى بروز فكّيه و غور عينيه و عرض جبهته**"[5] .

---

[1]-أزهري مصطفى صادق علي: مقدمة في الأنثروبولوجيا، جامعة الملك سعود،كلية السياحة و الأثار،العدد2013،221، ص 22.

[2]-المرجع نفسه، ص 23.

[3]-عيسى الشماس:مدخل إلى علم الإنسان ،ص13.

[4]-أزهري مصطفى صادق علي:مقدمة في الانثروبولوجيا،ص 24.

[5]-عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان ،ص68 .

ب. فرع الأجناس البشريّة (الأجسام البشريّة stomatologie):

و هو العلم الذي "**يدرس الصّفات العضويّة للإنسان البدائي (المنقرض)، و الإنسان الحالي من حيث الملامح الأساسيّة و السّمات العضويّة العامّة، لذا كرّس علماء الأجسام جهودهم لدراسة الأصناف البشريّة، و رصد الفروقات بينها..**"[1] و محاولة معرفة الأسباب و رصد الفروقات بين الإنسان القديم و الإنسان الحالي.

وقد كان اهتمام علماء الأجناس البشريّة، و لا يزال يعتمد على خصائص سطحيّة بسيطة:" **كلوْن الجلد و شكل الشّعر،وطول القامة وقصرها. ومع بداية الستيّنيّات من القرن العشرين سار علماء الأجناس شوطا أبعد من ذلك فأخذوا يدرسون الفوارق بين الفئات المختلفة من حيث سرعة النّمو و بين النّضوج الجنسي و مدى المناعة ضدّ الأمراض**"[2].

وقد توسّعت نظرة علماء الأجناس البشريّة و تطوّرت، حيث اهتمّوا بالفوارق الشّكليّة للإنسان، وأصبحوا الآن يهتمُّون بمعرفة الأسباب و العوامل التّي ساهمت في إحداث هذه التّغيرات الجسميّة ،" **لذا فإنّ الدّروس التّمهيديّة في الأنثروبولوجيا الطّبيعيّة غالبا ما تبدأ بمواد من التّشريح المقارن للإنسان العاقل " homo sapiens "و أبناء عمومته الأقربين القردة العليا و القردة السفلى**"[3].

و نستطيع القول إذن : أنّ الأنثروبولوجيا الطّبيعيّة تُعنى بدراسة الإنسان ككائن بيولوجي من حيث تركيبه الجسمي، وتاريخه وتطوّره منذ القديم حتى الآن أي أنّها بمثابة السّجل لدراسة الشّعوب.

2 – الأنثروبولوجية الدّينيّة :(Religious Anthropology):

وهي دراسة متعمّقة للشّعوب ومعتقداتها،"**وكيف تعمل هذه المعتقدات في التّشكيلة الثّقافيّة لشخصيّة الإنسان في المجتمع المعني أو المجتمع تحت الدّراسة، وفي هذا المضمار لا تشكّل الأنثروبولوجيا الدّينيّة دراسة لاهوتيّة، ولا تشكّل أيضا دراسة حول الحقيقة الإلهيّة للدّين بقدر ما**

[1]–أزهري مصطفى صادق علي: مقدمة في الانثروبولوجيا ،ص9 .

[2]–المرجع نفسه،ص 9.

[3]–بيرتي ج بيلتو:دراسة الأنثروبولوجيا (المفهوم و النشأة)،تر: كاظم سعد الدين،بيت الحكمة،العراق،ط1، 2010، ص 18.

هي دراسة للإنسان، ما يعتقد به وما يشكّل بالنّسبة له حقيقة مطلقة"[1]، فالدّيانة والمعتقدات ليست أشياء ماديّة، وحسيّة نستطيع وصفها والتّعامل معها، بل هي شيء غير مادي لا نستطيع التّعرف عليه إلاّ من خلال السلوكيّات، والكلمات التّي تدّل عليه.و لقد اهتمّ علماء الأنثروبولوجيا بالدّين وأولوه عناية خاصَّة، فأخذوا يبحثون في كيفيّة نشأة وتطوّر الدّيانات وعن تأثيره في الجماعات البشريّة وسلوكيّاتهم، وكيف تُؤثّر هذه الدّيانات في التّربية الاجتماعيّة والثّقافيّة لأفراد المجتمع؟ فالأنثروبولوجيُّون اهتمُّوا بالطّقوس الدّينيّة وآثارها الاجتماعيّة كالسّحر والشَّعوذة، كما اهتمُّوا أيضًا بالأساطير والأديان القديمة لفهم أساليب الإنسان القديم في تصوّره للكون.

وذهب ادوارد تايلور (**Edward E. Taylor**) إلى أنّ الأنيميزم (**Animus**) (المذهب الحيوي) هي أقدم أشكال الدّين عند البشر الأوائل وتأمُّلاتهم، حول النّوم واليقظة والأحلام والموت وما إلى ذلك من أفكار قادتهم إلى الاعتقاد بوجود الرّوح ككيان يمكن أن ينفصل عن الجسد. وقال تايلور أنّ الشّكل الدّيني قد تطوّر وتحوّل إلى عبادة الأسلاف التّي تطوّرت إلى الاعتقاد في تعدّد الآلهة، ثم تطوّر أخيرا إلى التّوحيد.

أمّا جيمس جورج فريزر(**James George Friser**) فهو عالم أنثروبولوجي أسكوتلندي مؤلّف الكتاب المشهور والضّخم (الغصن الذّهبي)، "فقد كان يشارك تايلور رؤيته العقلانيّة لأصول الدّين وتطوّرها، حيث ذهب إلى أنّ الدّين قد تطوّر عن محاولات البشر الأوائل فهم أو تفسير خبرتهم عن بيئتهم وعن عمليّات حياتهم، ومن ثمّ اقترح نوعًا آخر من تنميط الأشكال الدّينيّة وأوضح أنّ هناك ثلاث مراحل من التّطور الفعلي التّي عرفتها الثّقافة الإنسانيّة هي، السّحر، والدّين والعلم".[2]

وصفوة القول أنّ الدّين ظاهرة اجتماعيّة، وغريزة ملازمة للإنسان منذ القديم، موجود لدى كلّ المجتمعات وفي كلّ زمان ومكان، فهو العنصر الأساسي في تكامل ثقافة الشُّعوب وتجانسها.

---

[1]-ليث عبد الحسين العتابي: الأنثروبولوجيا الدينية، موقع أرنثروبوس،2016، تاريخ الإطّلاع:29/3/2022، https://www.aranthropos.com

[2]-المصطلحات والمفاهيم الدينية والسياسية في الأنثروبولوجيا الأساسية، موقع عربي،2021، تاريخ الاطلاع: 6/3/2022، https://www.amp/s/e3arabi.com

3- الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة :(Social Anthropologie)

وتعتبر علمًا حديث العهد، ويُعدّ جيمس فريزر (**J.Frizer**) أوّل من استخدم هذا المصطلح الجديد، في محاضرته المعنونة ب"مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة" والتّي ألقاها في جامعة ليفربول (1980)م،إذ عرّفها بأنّها:" **محاولة علميّة للكشف عمّا يسمّيه بالقوانين العّامة التي تحكم الظّواهر وتُفسّر ما في المجتمعات الإنسانيّة حتّى تتمكّن بفضلها أن تتنبّأ بمستقبل البشريّة استنادًا إلى تلك القوانين الاجتماعيّة العّامة التّي تُنظّم تاريخ الإنسان، حيث إنّ الطّبيعة البشريّة تتّسم بأنّها واحدة في كلّ زمان ومكان**".[1] أي أنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة تدرس المجموعات الاجتماعيّة بحكم انتمائهم إلى جماعة ما أو مجتمع معيّن استنادا إلى النّظم والعلاقات الاجتماعيّة التّي تنظّم حياة الإنسان.

ويذهب إدوارد إيفانز بريتشارد (**E.Evans-Pritchard**) إلى تعريفها بأنّها " **تدرس السّلوك الاجتماعي الذي يتّخذ في العادة شكل نظم اجتماعيّة كالعائلة، ونسق القرابة، والتّنظيم السّياسي، والإجراءات القانونيّة، والعبادات الدّينيّة، وغيرها. كما تدرس العلاقة بين هذه النّظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التّاريخيّة، التّي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النّوع يمكن معها القيام بمثل هذه الدّراسات**"[2].

هي بذلك تتميّز بطابع التّنوع والشُّموليّة حيث نجدها تهتمُّ بتحديد العلاقات المتبادلة بين هذه النّظم سواء في المجتمعات البدائيّة أو في المجتمعات الحديثة والمعاصرة. وكلمة بدائي لها مدلول خاص في الكتابات الأنثروبولوجيّة فهي تشير إلى معان فنّية محدّدة لا تتّصل إطلاقًا بما قد تُثيره من معاني التّأخر أو التّوحش أو الافتقار وإنّما "**يُقصد باستخدام هذه الكلمة التّعبير عن بعض الخصائص التّي تميّز المجتمعات المحلّية الصّغيرة سواء من ناحية عدد السّكان أو المساحة أو التّي تمتاز ببساطة**

[1]-لبنى بوخناف: تجليات الأنثروبولوجيا في الخطاب الرّوائي لإبراهيم الكوني، مخطوط رسالة دكتوراه،إشراف: وردة معلم، قسم: اللّغة والأدب العربي، كلية: الآداب واللغات، جامعة 08ماي 1945قالمة، السنة الجامعية: 2019-2020.

[2]-حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا، ص16.

الفنون الآليّة والحياة الاقتصاديّة والتّخصّص المهني، والتّي تفتقر في العادة إلى وجود تراث مكتوب.."[1]

وتدرس الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة **"مجموع البناء الاجتماعي لأيّ جماعة أو مجتمع بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات"**[2]. ومعنى هذا أنّ الأنثروبولوجي الاجتماعي يُفكّر في "المجتمع" وليس في "الثّقافة" كتكوين منظّم لأجزاء متعدّدة، وأنّ واجبه الأوّل يقتصر على اكتشاف هذا النّظام وتفسيره، وهو يتكوّن من العلاقات القائمة بين الأفراد، وهي علاقات يُنظّمها مجموعة من الحقوق والواجبات المعترف بها.

إنّ عالم الأنثروبولوجيا لا تهمّه الفروق السّطحيّة مثلا: أن بعض الشُّعوب تأكل الجبن مع الإفطار، والبعض يفضِّل استضافتك على كوب شاي بدلا من الذهاب إلى منزله، والبعض يجتمعون على طاولة العشاء ويتبادلون أطراف الحديث و كلّ يستمع للآخر بينما آخرون يتكلّمون جميعا في وقت واحد بصوت مرتفع . فهذه كلّها مجرد سلوكات يوميّة يقوم بها الأفراد في بقعة واحدة أو باختلاف أماكن تواجدهم. فالعالم أو الدّارس الأنثروبولوجي يهتمُّ بما وراء السُّلوك اليومي، أي القواعد و المصالح المشتركة والتّي تسمّى المعايير، تضبط وتُنظّم السُّلوك بما يجعله مجتمعًا، وليس مجموعة من الأفراد تعيش في نفس البقعة فقط.

وبناءً على ما سبق فالأنثروبولوجيا الاجتماعيّة تقوم بدراسة الإنسان من حيث نشأته وتطوّره وثقافته، والتّركيز على سلوك الأفراد ضمن المجتمع.، بالإضافة إلى دراسة العادات و التّقاليد والعلاقات بين النّظم الاجتماعيّة، والعلاقات بين الناس، والأصناف السلوكيّة المختلفة.

---

[1]– محمد عبده محجوب: الاتجاه السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات، الكويت، دط، ص57.

[2]– ألّفه محمد الجوهري وعلياء شكري..وآخرون: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، قضايا الموضوع والمنهج، ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص14.

4-الأنثروبولوجيا الثقافيّة:

من أهمّ أنواع الأنثروبولوجيا، ظهرت في القرن التّاسع عشر ميلادي، و تهتمّ بدراسة أصول المجتمعات والثّقافات الإنسانيّة وتاريخها، وتتّبع نموّها وتطوّرها، وتدرس بناء الثّقافات البشريّة و أدائها لوظائفها في كلّ زمان ومكان؛ أي أنّها تركّز على الثّقافة في حدّ ذاتها، هذا ما يدفعنا إلى طرح التّساؤل التّالي: ما معنى الثّقافة؟ ما هي أهم الموضوعات التي تشتمل عليها؟ و فيم تكمن أهميّتها؟.

4-1/ مفهوم الثّقافة وأهميّتها:

أ: مفهوم الثّقافة:

***في اللّغة:**

جاء في معجم الوسيط: " **ثَقَفَ: ثَقْفًا: صَارَ حَاذِقًا قَاطِنًا، فَهُوَ ثقف والخل: اشْتدّت حُموضَتُه فَصَارَ حَرِيفًا لذَّاعًا فَهُو ثَقِيف، والعِلْمُ والصّناعَة حذقهما، والرّجل في الحَرْب أَدْرَكَهُ والشّيء: ظَفَرَ بِه**"[1].

وفي معجم لسان العرب ورد أنّ: " **ثَقَفَ : ثَقِفَ : الشّيء ثَقْفًا و ثِقَافًا وثَقَافَةً : حذقه ورَحَلَ ثَقِفَ وثَقِفٌ . وثَقُفَ: حَاذِقُ الفَهْمِ ، واتَّبَعُوهُ، قال أبو زياد، رَجُلٌ ثَقِفٌ، وثقف الرجل ثَقَافَةً أيْ صَارَ حَاذِقًا خَفِيفًا مثل ضَخْم: فهُو ضَخْم: ومنه المُثَاقَفَة.**

وثَقُفَ الخل ثَقَافَةً وثقف ، فَهُوَ ثَقِيفٌ وثقِيفٌ بتشْدِيدِ الأَخِير عَلَى النّسب: حَذِقٌ وحَمِصٌ جِدًّا مِثْل بَصَل عَرِيف، قال: وَلَيْسَ بِحَسَن "[2].

***في الاصطلاح:**

نشأ مصطلح الثّقافة عن الحاجة لوجود مصطلح ملائم لوصف الجوانب المشتركة لبعض أنواع السّلوك الّتي بلغت مبلغا عاليا من التّطوّر عند الإنسان،تستخدم هذه الكلمة كترجمة لفظيّة للكلمة الإنجليزيّة CULTUR ، ولقد تعدّدت المفاهيم لهذا المصطلح حيث يوجد ما يزيد عن المائة

[1]- إبراهيم أنيس وآخرون: "المعجم الوسيط مادة ثقف" ، مكتبة الشروق الدولية، مصر ، ط4، 2004،ص98.

[2]- ابن منظور :لسان العرب، مجلد9 ، مادة (ثَ، قَ، فَ) ، دار الصادر، بيروت :لبنان، ط3 ،1994، ص19.

وخمسين تعريفا، استخدمت لأول مرّة بواسطة **جوستاف كوصينا GUSTAF COSSINA**.

ويعرّفها **تايلور TAYLOR** في كتابه الثّقافة البدائيّة بأنّها: **"ذلك الكل المعقّد الذي يشمل: المعرفة، العقيدة، الأخلاق، الفن، القانون، والعرف، وكل القدرات والعادات الأخرى التّي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع."** ، و من خلال قول **تايلور** يتّضح أنّ الثّقافة تشتمل على عدد كبير من السّمات والعناصر ولا يمكن لأيّ فرد أبدا أن يُلمّ بالمجموع الكلّي لمحتوى ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه.

أمّا عند **GRAHAM WALLAS** فالثّقافة: **"هي تراكم الأفكار والقيم والأشياء،أي أنّها التّراث الذي يكتسبه النّاس من الأجيال السّابقة عن طريق التّعلم"**[1] ، ونفهم من هذا القول أنّ الثّقافة هي ذلك التّراث الإنساني من عادات وتقاليد وطريقة تفكير الإنسان وعيشه وتعامله مع الغير.

كما قدّمت الباحثة **أوردي ريتشارد** تحليلا لمفهوم الثّقافة في مقالها **' مفهوم الثّقافة في أعمال مالينوفيسكي' تقول: " الثّقافة إنّما تشمل المهارات الموروثة والأشياء، والأساليب أو العمليّات الفنيّة، والأفكار والعادات والقيم."**[2] انطلاقا من هذا المفهوم فالثّقافة نشاط يقوم به الإنسان تُعنى بدراسة حياة الإنسان، وسلوكيّاته استنادا إلى العادات والتّقاليد.

من خلال هذه المفاهيم يتّضح أنّ كلّ تعريفات الثّقافة في مجال الأنثروبولوجيا تتّفق مع تعريف تايلور في أنّها كل معقّد، وهي عبارة عن مجموعة من الأفكار المشتركة يعبّر عنها بطريقة معيّنة مجموعة من الأشخاص داخل مجتمع معيّن، وتكون في نهاية الأمر مكتسبة.

ب: موضوعات الثّقافة:

الثّقافة مفهوم شامل يتبيّن هذا من خلال عدد المواضيع التّي تشتمل عليها، ومنها:

[1] – تأليف: نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الأنثروبولوجيا، تحرير مصطفى عمر حمادة الأنثروبولوجيا (مدخل لدراسة الإنسان) ،كلية الآداب جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2012، ص13.

[2] –محمد عباس إبراهيم: الثقافة الشعبية "الثبات والتغير"، دار المعرفة الجامعية، قناة السويس، الإسكندرية: مصر،(د.ط)2009، ص22.

"– **الدّين**: وهو أنماط السلوك المتعلّقة بعلاقات الإنسان بالقوى المجهولة وأنساق المعتقدات والطّقوس المرتبطة بتقديس هذه القوى.

– **السّلوك**: ويتضمّن أسلوب التّنظيم الاجتماعي فيما يتعلّق بالحفاظ على العلاقات المنظّمة بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع.

– **الإدارة و الاقتصاد**: يتضمّن أنماط السّلوك وتنظيم المجتمع فيما يتعلّق بإنتاج، وتوزيع ، واستهلاك السّلع والخدمات.

– **الثّقافة الرّمزيّة**: وتضمُّ أنساق الرُّموز أو أساليب استخدامها فيما يتعلّق باكتساب المعرفة، وتنظيمها، ونقلها إلى الآخرين."[1]

"– **القانون**: وهو الأنظمة، واللّوائح التّي تحكم الدّول ، والمجتمع ، والأفراد.

–**الفنّ والإعلام**: الفنون بأنواعها، والصّحافة ، والإعلام المرئي والمسموع.

– **السّياسة**: التّغيرات التّي تؤثّر على علاقة النّظام الحاكم بالمجتمع ، والبرلمان ، وأفراد الشّعب ، وعلاقته بالدّول.

– **المستقبل**: البحث العلمي ، واستخدام التّقنية في البناء الحضاري.

–**اللّغويات**: اللّغة العربيّة ، واللّغات الأخرى، وعلومها وآدابها من شعر ونثر، والتّذوق اللّغوي وغيرها."[2]

ج: أهميّة الثّقافة:

تكمن أهميّة الثّقافة في كونها:

"–تبيّن للفرد صور السّلوك والتّفكير والمشاعر التّي ينبغي أن يكون عليها، و لاسيما في مراحله الأولى حيث ينشأ على قيم وعادات وتقاليد تؤثّر في حياته بسبب طبيعة ثقافته التّي عاش فيها.

– توفّر للأفراد تفسيرات جاهزة عن الطّبيعة والكون وأصل الإنسان ودورة الحياة.

– توفّر للفرد المعاني والمعايير التّي يستطيع أن يميّز في ضوئها ما هو صحيح من الأمور وما هو خاطئ.

[1]– محمد الجوهري وعلياء شكري وآخرون: مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة، 2007، ص165–166.

[2]– طارق محمد السويدان: وفيصل عمر بشراحيل: صناعة الثقافة، الإبداع الفكري، الكويت، ط3، 2011، ص35.

– تنمّي الضّمير الحي عند الأفراد، حيث يصبح هذا الضّمير فيما بعد الرّقيب القوي على سلوكيّاتهم ومواقفهم فهي تجاوز الذّات وحاجة للمشاركة وضرورة للذّوق والخلق.

– تنمّي الثّقافة المشتركة في الفرد شعورا بالانتماء والولاء فتربطه بالآخرين في شماعته بشعور واحد، وتميّزهم عن الجماعات الأخرى.

– وأخيرا تكسب الثّقافة الفرد الاتّجاهات السّليمة لسلوكه العام في إطار السّلوك المعترف به من قبل الجماعة."[1]

4-2/ مفهوم الأنثروبولوجيا الثّقافيّة وفروعها:

أ: مفهوم الأنثروبولوجيا الثّقافيّة:

تعرف الأنثروبولوجيا الثّقافيّة بأنّها: **"ذلك الفرع الرّئيسي من الأنثروبولوجيا الذي يضطلع بدراسة مختلف ثقافات الإنسان، ...والإنسان كائن ثقافي حامل للثّقافة ويعيش في كنفها وتحافظ عليه ويحافظ عليها، كما أنّه ناقل لها عبر الأجيال المختلفة ونظرا لأنّ هذا الفرع يهتمّ بالثّقافة وبالسّلوك الإنساني فهو يهتمّ بماضي الإنسان وحاضره."**[2] ؛ أي أنّها تدرس التّمايز بين ثقافات الشّعوب كما تهتمّ بدراسة البناء الجسماني للنّوع الإنساني ، وتشريحه ، وتتّبع التّطور التّاريخي للتّكوين العضوي ، والخصائص المميّزة للسّلالات البشريّة.

وهناك من يعرّفها بأنّها: **" ذلك العلم الذي يهتمّ بدراسة الثّقافة الإنسانيّة وأساليب حياة الإنسان وسلوكيّاته النّابعة من ثقافته وتدرس الشّعوب القديمة والمعاصرة."**[3]؛ ومعنى هذا أنّها تهتمّ بدراسة الجماعات الإنسانيّة ذات الثّقافات القديمة والحديثة أي ثقافات الأسلاف أو ثقافة أبناء المجتمعات

[1]– سمير إبراهيم حسن: الثقافة والمجتمع، دار الفكر، دمشق– سوريا، ط1، 2007، ص28-29.

[2]– تأليف: نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الأنثروبولوجيا تحرير : مصطفى عمر حمادة الأنثروبولوجيا (مدخل لدراسة الإنسان) ، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 202، ص13.

[3]– أزهري مصطفى صادق: الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية "علم الإنسان الطبيعي والثقافي"، جامعة الملك سعود،1943 ، ص11.

المعاصرة. لذلك نجد هذا النوع يهدف إلى فهم الظّاهرة الثّقافية وتحديد عناصرها ودراسة عمليّات التّمازج الثّقافي وتحديد الخصائص المتشابهة بينه وبين مختلف الثّقافات الأخرى.

و الأنثروبولوجيا الثّقافية كغيرها من العلوم الأخرى مرّت بعدّة مراحل منذ ظهورها استطاع من خلالها الباحثون الأنثروبولوجيون التّوفيق في دراستهم التي أجروها على الإنسان انطلاقا من المرحلة الجنينيّة التّكوينيّة، مرورا بمرحلة النضج، وصولا إلى مرحلة المعاصرة. ولقد تفرّعت الأنثروبولوجيا الثّقافية إلى عدّة فروع.

ب: فروع الأنثروبولوجيا الثّقافيّة:

تنقسم الأنثروبولوجيا الثّقافيّة إلى ثلاثة فروع رئيسة هي: الإثنولوجيا، الأركيولوجيا، اللّغويّات.

أولا: الإثنولوجيا:ETHNOLOGY

و "**هي علم دراسة الشّعوب وهذا ما يعنيه الأصل اليوناني إثنوس ETHNOS وهو الأصل الذي صدرت عنه كلمة إثنولوجيا وتعني كلمة ETHNOS اليونانيّة دراسة الشّعوب.**"[1]

ويعرّفها **كرويبر Kroeber** بأنّها: "**علم الشّعوب وثقافاتهم وتواريخ حياتهم فتهتمّ برصد العلاقات المتبادلة بين الشّعوب وبيئاتها، والعلاقات المتبادلة بين الكائنات البشريّة وثقافاتها، والعلاقات المتبادلة بين الثّقافات المختلفة.**"[2]؛ و معنى هذا أنّ هذا العلم يُعنى بدراسة الشّعوب ومظاهر الثّقافة، ومحاولة فهم الظّواهر الثّقافية، كما يهتمّ عالم الإثنولوجيا: " **بدراسة ووصف الثّقافات المختلفة أينما وجدت سواء في القارّات القطبيّة الشّاسعة أو في صحراء وغابات إفريقيا.**"[3] ؛ أي أنّها تهتمّ بالدّراسات المتعلّقة بالثّقافة ، وأصولها ، وانتشارها لدى مختلف الجماعات البشريّة.

---

[1]- قباري محمد إسماعيل: أسس علم الإنسان : الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1980، ص18-19.

[2]- تأليف نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الأنثروبولوجيا: (مدخل لدراسة علم لإنسان)، ، ص14.

[3]- فوزي عبد الرحمان علي المكاوي: دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، (د.ط) ،2007،ص24.

ثانيا: الأركيولوجيا(ARCHAEOLOGY): (علم الآثار):

"تشتقّ كلمة أركيولوجيا من اليونانيّة Archaios بمعنى قديم، و logia بمعنى دراسة أو علم وعلى هذا يعني المعنى الحرفي للكلمة 'دراسة القديم' ، والأركيولوجيا عموما هي دراسة الإنسان على أوسع نطاق بحيث تشتمل هذه الدراسة على محاولة التّعرف على حياته اليوميّة، عاداته الدّينيّة، فنونه،صناعاته، مواطن الإقامة والأنشطة التّي مارسها، علاقته بالبيئة المحيطة."[1] ؛ أي أنّ علم الآثار يدرس تاريخ الإنسان ، وما رافقه من تغيّرات ثقافيّة في محاولة لبناء تصوّر كامل عن الحياة التي عاشتها المجتمعات القديمة.

ثالثا: اللغويات:

وتعدّ أهم ميادين الدّراسة في الأنثروبولوجيا ، ويهتمّ هذا الفرع " **بالدّراسات التّتبعية حيث يركّز في الأساس على المجتمعات والثّقافات القديمة، وكذلك على المراحل الغابرة من الحضارات الحديثة، وهو يحاول إعادة رسم صورة الأشكال الثّقافية الماضية وتتبّع نموّها وتطوّرها عبر الزّمان."**[2] ؛ فهو يقوم بإحياء وإعادة رسم صورة جديدة للأشكال الثّقافية الماضية، والتّركيز على مراحل تطوّرها على مرّ الزمن.

واللّغة وسيلة تواصل بين البشر وهي أداة لنقل الأفكار والتّعبير عنها، حظيت باهتمام بعض العلماء المتخصّصين في مجال الأنثروبولوجيا، يبحث الأنثروبولوجي المتخصّص في اللّغويات عن أصل اللّغة ، وأشكالها ، وتعقيداتها، كما يعمل على **"دراسة لغات البشر ومحاولة تتبّع تاريخ اللّغات وعائلتها، وبيان كيفيّة تأثير اللّغة وتأثّرها بالجوانب الأخرى للمادّة البشريّة، وكذلك العلاقة بين تطوّر اللّغة**

[1] – تأليف: نخبة من أعضاء هيئة التدريس:الأنثروبولوجيا (مدخل إلى دراسة الإنسان) مرجع سبق ذكره، ص18.

[2] – المرجع نفسه، ص 19.

وتطوّر الإنسان العاقل"[1] ؛ ونلاحظ أنّ علم اللّغويات يهتمّ بتركيب اللّغات الإنسانيّة ، وكيفيّة تطوّرها، و نقلها عبر الأجيال والدّور الذي يقوم به عالم اللّغة في تحليل اللّغات في زمن محدّد.

وقد عُدَّت الأنثروبولوجيا الثّقافيّة من أنواع المعرفة المتّسعة لاندراج مفهوم الثّقافة تحت مظلّتها، فهذا المفهوم متّسع جدا يندرج تحتهالكثير من العلوم.

5 – بين الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة والأنثروبولوجيا الثّقافيّة:

تنبثق الأنثروبولوجيا كعلم يدرس الإنسان، وخصوصيّاته المختلفة: البيولوجيّة، الثّقافيّة، الاجتماعيّة... **" والواقع أنّ تحديد مدى التّداخل والتّمايز بين الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة والأنثروبولوجيا الثّقافيّة أو بين مفهوم المجتمع ومفهوم الثّقافة تعتبر أمرا بالغ الصّعوبة. فالبعض يرى أنّ المجتمع هو الحقيقة النّهائية التّي تجعل من الممكن فهم طبيعة الإنسان ونظمه الاجتماعيّة، بينما يرى فريق آخر أن الثّقافة هي تلك الحقيقة المتمايزة بذاتها وأن المجتمع ليس سوى وسيلة ووعاء لوجود الثّقافة واستمرارها أي أنّه مجرّد ظرف أو شرط ضروري لقيام الثّقافة ولكنّه ليس كافيا بذاته. وهناك فريق ثالث يرى أنّ التّفرقة بين الفرعين يشبه مجرّد تغيير لافتة على علبة واحدة بمعنى أنّهما وجهان لعملة واحدة."**[2] ، و يختلف الأنثروبولوجيّون فيما بينهم حول وضع حدود فاصلة بين الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة والثّقافيّة فلا يمكن تحديد فروق أساسيّة بينهما، فالأنثروبولوجيا الثّقافيّة تخصّ الثّقافة، والاجتماعيّة تخصّ البناء الاجتماعي الذي هو أحد القطاعات الكبرى للثّقافة، ومن الضّروري في دراسة الإنسان التّمييز بين كلمة ' ثقافة ' والكلمة الموافقة لها: ' المجتمع ' فالثّقافة هي طريقة عيش شعب ومجتمع ما سواء أكان بدائيّا أو متقدّما، تبحث في التّغيير الثّقافي وعمليّات الاقتران والامتزاج والصّراع بين الثّقافات وتحديد نتائج الاتّصالات الثّقافيّة، أمّا المجتمع فهو تكتّل منظّم لمجموعة من الأفراد يتفاعلون

[1] – يحي مرسي عيد بدر: أصول علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) ج2 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ط2، 2007، ص15.

[2] – تأليف: نخبة من أعضاء هيئة التدريس: الأنثروبولوجيا (مدخل لدراسة الإنسان) ، ص84.

فيما بينهم ، ويتّبعون طريقة حياة معيّنة، وبعبارة أبسط المجتمع مؤلّف من النّاس وطريقة سلوكهم وثقافتهم.

ويمكننا أيضا قول أنّ: " **الأنثروبولوجيا تدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوّي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعيّة في ظلّ ثقافة معيّنة.**"[1]

معنى هذا أنّها تهتمّ بدراسة السّلوك الاجتماعي الذي يتّخذ نظما اجتماعيّة كالعائلة والقرابة والنّظام السّياسي والدّين ، ويندرج هذا ضمن الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة،أمّا الثّقافيّة فتهتمّ بدراسة التّمايزات بين اللّغات والثّقافات التّي تتميّز بها الشّعوب خاصّة: علم اللّغة (اللّغويات)، وعلم الآثار (الأركيولوجيا)، وعلم الثّقافات المقارن.

إنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة تدرس الكليّات، بينما الأنثروبولوجيا الثّقافيّة تدرس الجزئيّات، وكلاهما يهدف إلى وصف وتحليل حياة الناس ، و ثقافاتهم وتقاليدهم الرّمزية وحياتهم الماديّة المعاصرة وتاريخ المجتمعات البشريّة الحديثة لفترة طويلة من الزّمن.

6-الأنثروبولوجيا اللّغويّة:

يعتبر الإنسان أرقى الكائنات الحيّة وأوسعها إدراكا لهذا كثرت حاجته لإيجاد وسيلة يتواصل بها مع غيره من بني البشر، وهذه الوسيلة هي اللّغة التّي تصدر عن الإنسان بشكل مرتّب يعبّر بها عن خلجات نفسه وتصوّراته الدّاخليّة وليوصل للآخرين ما يريده، فعرفت اللّغة على أنّها: "**مجموعة رموز تستخدم للاتّصال بين أفراد المجتمع الواحد من أجل تيسير أنشطة الحياة المختلفة، وقد تستخدم فيما بعد في حفظ التّراث الإنساني وإنماء الثّقافة ونقلها إلى الأجيال.**"[2] نفهم من خلال هذا المفهوم أنّ اللّغة نشأت في أحضان المجتمع وولدت حين شعر الأفراد أنّهم بحاجة إلى التّواصل والتّفاهم بينهم.

---

[1]- أزهري مصطفى صادق: مقدمة في الأنثروبولوجيا 221 ، ص7.

[2]- مها محمد فوزي معاذ : الأنثروبولوجيا ودراسة اللغة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2004، ص232.

وفي تعريف آخر نجد أنّ: **"اللّغة هي أداة التّعبير عن الأفكار، و هي وسيلة الاتّصال الرّئيسية بين البشر و تتكوّن من رموز و كلمات وعبارات تكتسب كلّها عن طريق نشأة الفرد في مجتمع ما، يتلقّى من خلاله وتصبح وسيلته الأساسيّة في التّفاهم والاتّصال مع أعضاء مجتمعه."**[1] .

تتخصّص الأنثروبولوجيا اللّغوية في دراسة لغة الإنسان من جميع جوانبها، وتحاول الرّبط بين اللّغة والثّقافة، **"فالثّقافة من دون لغة ضرب من المحال. وكلّما صارت الثّقافة أكثر تعقيدا، ازدادت الحاجة إلى الاتّصال ... فاللّغة والقدرة على الاتّصال بها تعتبران شرطا أساسيّا وضروريّا لأيّ مجتمع إنساني، ولا يمكن تصوّر ثقافة بدونه."**[2]

ينقسم هذا العلم إلى قسمين رئيسيّين :

أ / **علم اللّغويات الوصفي**: يدرس النّظم الصّوتية وقواعد اللّغة والمفردات، ويعتمد عالم اللّغويات هنا في دراسته على اللّغة الكلاميّة، أي لغة غير مكتوبة، وتتركّز معظم هذه الدّراسات في المجتمعات البدائيّة التي لم تعرف القراءة والكتابة.

ب: **علم أصول اللّغويات** : يختصّ بالجانب التّاريخي والمقارن، حيث يدرس العلاقات التّاريخيّة بين اللّغات التّي يمكن متابعة تاريخها عن طريق وثائق مكتوبة، وتزداد المشكلة حدّة عندما يتناول اللّغوي لغة قديمة لم تترك وثائق مكتوبة، وهنا يستهدف تحديد أصول اللّغات الإنسانيّة بما فيه هذه اللّغة.[3]

والباحث الأنثروبولوجي المتخصّص في اللّغويات " **يبحث عن أصل اللّغات Origine Of Langage وتعقيداتها وأشكالها الرّمزية Symlolic formes ومحاولة تحليل بنائها أو إعادة هذا البناء بقصد إلقاء الضّوء على نموّها تاريخيّا منذ الوقوف على بدايتها."**[4]

---

[1]- مها محمد فوزي معاذ : الأنثروبولوجيا ودراسة اللغة ، ص262.

[2]- عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة (المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة)، مركز دراسات الوحدة العربي للنشر، بيروت، ط1، 2006، ص39.

[3]- فوزي عبد الرحمان وعلي المكاوي: دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية ، ص28.

[4]- تأليف نخبة من أعضاء هيئة التدريس: بقسم الأنثروبولوجيا، (مدخل لدراسة الإنسان) ، ص24.

كما يُعنى هذا النّوع من الأنثروبولوجيا بدراسة اللّهجات العاميّة وعلاقتها باللّغة الأصليّة ومدى تأثيرها عليها.

رابعا: علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى:

تشترك الأنثروبولوجيا مع بعض العلوم الأخرى في كونها تهتمّ بدراسة الإنسان ، و تهدف إلى فهمه ووصفه وتطوّره.

أ: علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع:

يعدّ من أحدث العلوم الإنسانيّة يدرس الحياة الاجتماعيّة ، وحياة الفرد وكيفيّة تواصله مع الآخرين، وكيفيّة تفاعله في المجتمع، على اعتبار أنّ **"الإنسان كائن اجتماعيّ بطبعه" –** حسب تعبير **ابن خلدون**– يتأثّر بالمجتمع ويؤثّر فيه، ويعرف علم الاجتماع بأنه: **"العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي من أجل التّوصل إلى تفسير علمي لمجراه ونتائجه."**[1] ؛ أي أنّه ذلك العلم الذّي يختصّ بدراسة سلوك الإنسان وتفسيره بغية الوصول إلى نتيجة، ويمكن القول أنّ كل من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يدرسان الإنسان : علاقاته ، حياته ، تكوينه... غير أنّ علم الاجتماع يدرس المجتمع ككل، بينما الأنثروبولوجيا تدرس الإنسان كحالة منفردة، فهي عندما تدرس لمجتمعات الإنسانيّة تركّز على عادات وتقاليد ونظم وعلاقات وأنماط سلوك الإنسان، وعلم الاجتماع يدرس مشاكل الأسرة في المجتمع الواحد : الزّواج، الطّلاق ، الإدمان، الآفات الاجتماعيّة ، البطالة، الجريمة... وكلّها تصبّ في منبع واحد هو " دراسة الإنسان".

ويمكن الإشارة إلى التّداخل الشّديد بين علم الاجتماع وعلم الإنسان وأنّ العلاقة بينهما علاقة تكامليّة ، والفرق الوحيد بينهما هو الغاية منهما، فعلم الاجتماع غايته التركّيب، والأنثروبولوجيا غايتها التّفكيك،وهذا الاختلاف بينهما أدّى إلى تنوّع الموضوعات المدروسة بين كل من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع.

[1]– أليكس أنكر: مقدمة في علم الاجتماع، تر : محمد الجوهري و آخرون ، دار المعارف، القاهرة، ط6 ،1983، ص40.

ب- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس:

يُعتبر علم النفس أحد أهمّ فروع العلوم الاجتماعيّة وهو: " **العلم الذي يدرس السّلوك الظّاهر دراسة نظاميّة ويحاول تغيير علاقاته بالعمليّات غير المرئيّة التّي تحدث داخل العضويّة سواء العقليّة منها أم الجسديّة من جهة، وعلاقته بالحوادث الخارجيّة في البيئة من جهة أخرى.**"[1] أي أنّه يركّز اهتمامه على دراسة الإنسان ما ظهر منه وما بطن، كما يدرس العقل البشري والطّبيعة البشريّة اللّتان ينتج عنهما السّلوك.

"**علم النّفس يدرس سلوك الإنسان الفرد ، أمّا الأنثروبولوجيا فتركّز على السّلوك الإنساني بشكل عام ، كما تدرس السّلوك الجماعي النّابع من تراث الجماعة.**"[2] فيقدّم علم النّفس تفسيرا للظّواهر الثّقافية ويقتصر اهتمامهم على مشكلات السّلوك الفردي، في حين الأنثروبولوجيا تقدّم وصفا للنّفسيّة الجماعيّة، ووضع تصميمات جماعيّة على أسس ثقافيّة.

والعلاقة التّي بينهما لم تكن لتتطوّر لولا أنّ الأنثروبولوجيّين أجروا دراسات مقارنة ساعدت على تفويض بعض نظريّات الغرائز التّي شاعت قديما في علم النّفس ، ولولا أن اتّجه علماء الأنثروبولوجيا إلى الاهتمام بموضوع الثّقافة والفرد وعلاقتهما ببعض ، وقد ظهر هذا الاهتمام بمشكلات الأفراد بالموازاة مع ظهور مشكلات السّلوك في علم النّفس ، لهذا أخذ الأنثروبولوجيّون يوجّهون اهتمامهم إلى المختصّين في التّحليل النّفسي والطّب النّفسي ويستمدّون منهم معارف ومفاهيم نفسيّة. عالم النّفس يركّز على الشّخصيّة الفرديّة بشكل مفرد، والأنثروبولوجي يركّز على الجماعة وإن ركّز على الفرد فإنّه يركّز على دوره البارز في تلك الجماعة.

إذن، إذا كانت الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان وتطوّره و أنماطه،فعلم النّفس يتشارك مع الأنثروبولوجيا في دراسة سلوك الإنسان الذي يتمتّع به داخل المجتمع وخارجه، وهذا هو موضوع بحث الأنثروبولوجيا.

---

[1]- يوسف قطامي وعبد الرحمان عدس: علم النفس العام، دار الفكر، عمان – الأردن ، ط1 ، 2002، ص16.

[2]- إبراهيم ناصر : الأنثروبولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي) ، دار الفكر، عمان- الأردن ، د.ط 1985 ، ص21.

ج: علاقة الأنثروبولوجيا بعلوم الطّبيعة والحياة :

ارتبطت الأنثروبولوجيا من النّاحية النّظرية بعلوم الطّبيعة والحياة، فالدّراسة الأنثروبولوجية والدّراسة البيولوجيّة للإنسان ، هما دراستان متداخلتان ومترابطتان باستمرار، فالأنثروبولوجيا تدرس الإنسان ككائن عضوي حي، وعلوم الطّبيعة والحياة تدرس كل ما هو محيط ومتعلّق بالإنسان ، تركيبته الجسمانيّة، التّغذية، التّكاثر، الصّحة، النّظام البيئي ، علم الأحياء الذي يدرس الكائنات الحيّة : الإنسان و الحيوان و النّبات، والظّواهر الجيولوجيّة من تضاريس ومياه إلى جانب الظّروف المناخيّة المتفاوتة من منطقة إلى أخرى ، فهذه العوامل تؤثّر في حياة الإنسان بجوانبها المختلفة : العضويّة ، الاجتماعيّة ، الثّقافيّة، لذلك فإنّ الأحوال المعيشيّة عند المجتمعات البشريّة غير متشابهة بسبب تباين الظّروف الجغرافيّة التّي توجد فيها تلك المجتمعات . و علم الأحياء الذي يدرس الإنسان كفرد قائم بذاته من حيث بنية أعضائه وتطوّرها، يرتبط بعلوم الطّبيعة ويتداخل معها في نظريّة التّطور التّي تقول بأن أجسام الكائنات الحيّة وأنواعها ووظائف أعضائها تتغيّر باستمرار مادامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالا جديدة ، كما هو الحال عند الإنسان الذي بدأ كائنا حيّا بخليّة واحدة أبسط تركيبا تكاثرت إلى خلايا أكثر تعقيدا في إطار بنيته العامة، حتّى وصل إلى ما هو عليه من تطوّر شامل عقلي ونفسي واجتماعي.

د: علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب:

الأدب فنٌّ جميل يقوم على اللّغة والكتابة، وهو وسيلة لجأت إليها الشّعوب منذ القديم للتّعبير عن ذاتهم و نقل حياتهم، حيث كانوا في القديم يكتبون على جدران الكهوف وأوراق الأشجار باستخدام معدّات بدائيّة بسيطة، وتطوّروا عبر العصور والأزمنة إلى أن أصبحوا يستخدمون الورق لنقل حياتهم وثقافاتهم.

واليوم ظهر فرع أنثروبولوجيا الأدب كفرع مستقل ينقل تفاصيل الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة عبر الرّواية والشّعر وغيرها..

وتبلورت النّظريّة الأنثروبولوجيّة في الأدب على يد المفكّر وعالم الأنثروبولوجيا الفرنسي كلود ليفي ستراوس "Claude Lévi-Strauss" في "**كتابه المشهور "العقل البدائي أو الوحشي " The Savage Mind الذي صدر عام 1966، والذي حدّد به إحدى الخصائص الرئيسيّة للفكر الأسطوري أو الخرافي الذي تنتجه المجتمعات البدائيّة في محاولة منها لتفسير ظواهر الكون الغامض الذي تخشاه لعدم اطمئنانها إليه، وقد شكّلت هذه المادّة الأسطوريّة أو الخرافيّة قاعدة عريضة ومتشبّعة انطلقت منها أنثروبولوجيا الأدب**".[1] و تعتبر بنائيّة ليفي شتراوس أهم البنائيّات التّي دعّمت العلاقة بين الأدب و الأنثروبولوجيا حيث ارتكز على ما أفرزه عقل الإنسان البدائي من تراث أدبي وفنّي، وما يزخر به من أساطير وحكايات خرافية وملاحم وغيرها..، والتّي تعتبر فضاء أرحب للباحث الأنثروبولوجي إذ تمكّنه من تقديم نظرة شاملة عن الإنسان للقارئ.

ويمكن القول أنّ" **الأدب كان دائما تأويلا رمزيًّا للواقع، تُضفي على هذا الأخير مسحة جماليّة، تجمع في طيّاتها الجانب "الحقيقي"والخيالي الأسطوري**"[2]، حيث كانت دراسة الأساطير في السّابق تنتمي إلى مجال علم الفلكلور و الأنثروبولوجيا، وتاريخ الدّيانات..، فهي بمثابة سجل ثريّ ومفتوح أمام الباحث الأنثروبولوجي لما تنطوي عليه من معلومات تساعده في الاطّلاع على الحياة التي عاشتها مجموعة معيّنة من النّاس، كالاستقرار الاجتماعي والمستوى الثّقافي والعادات والتّقاليد، فالإنسانيّة عرفت الأسطورة منذ القديم، فهي تحكي عن أحلام وآمال الشّعوب، وترسم عالمها المليء بالتّطلع لآفاق المعرفة، إذا فالأسطورة تعدُّ منبع الإلهام الأدبي، وفضاء أوسع للأنثروبولوجيا.

و يعتبر الأدب مادّة أساسيّة لفهم ثقافة المجتمع، فمن خلال الأدب يتعرّف الأنثروبولوجي على العادات والتّقاليد بالإضافة إلى القيم الاجتماعيّة والعلاقات الأسريّة للمجتمع الذي يدرسه، غير أنّ الأديب يقدّم لنا هذه الصّور في قالب يتّسم بالغموض نوعًا ما، حيث يستخدم في طرحه أساليب رمزيّة تُخفي في طيّاتها الكثير من الإيحاءات والدّلالات التّي تخلق جوًّا من المتعة الفنيّة والثقافية لدى المتلقّي.

---

[1]- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص42.

[2]- عياد أبلال: أنثروبولوجيا الأدب"دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي"، القاهرة، روافد للنشر والتوزيع ط1، 2011 ، ص97 .

كما أنّ الباحث الأنثروبولوجي "**يقوم بالدّراسة حسب خطّة دراسة الآداب عامة، أي دراسة مشكلات الأسلوب والتّسلسل القصصي والعقدة التّي يدور حولها الإنتاج الأدبي وطريقة التّسويق والإثارة وشدّ الأعصاب التّي تقود إلى قمّة القطعة الأدبيّة، كذلك دراسات مشكلات التّغيير والتّبديل في القصّة حينما تنتقل من شعب إلى آخر، بما في ذلك من تغيّر الأسلوب حسب الذّوق الأدبي للشّعوب المختلفة**"[1].

و رغم أنّ الأنثروبولوجيا تتميّز بدراستها الشموليّة للإنسان و صيرورته عبر التاريخ، إلاّ أنّ منطلقات بحوثها "تركّزت على المجتمعات البدائيّة ومخلّفاتها الفنيّة والثّقافيّة، وباعتبار الأدب من أهمّ الوسائل التّعبيريّة التّي لجأت إليها الشّعوب للتّعبير عن واقعها المادي والفكري، فإنّ أنثروبولوجيا الأدب انكبّت على دراسة وتحليل بعض الأجناس القديمة كالمسرح والأسطورة والحكايات الشّعبيّة والرّواية حديثًا، أي ما يطلق عليها بالفنون اللّغويّة أو الفنون القوليّة"[2].

فالأدب "**تشكيل لغوي يمثّل التّعبير الأسمى والأجمل عن فكر الأمّة، وحياتها، وطموحاتها، وقيمها، وهو تعبير من إنشاء العقل والخيال معًا، على يد أفراد تجلّت فيهم وتوهّجت في أعماقهم ملامح أمّتهم وخصوصيّتها**"[3] ، يركّز هذا القول على أنّ الأدب يعكس حياة المجتمع البشري على يد أدباء تميّزوا بلغة موحية وأسلوب دقيق، ونفس صادقة تعبّر عن واقع الأمّة وطموحاتها.

يشكّل الأدب مادة أساسيّة يتعلّمها الأنثروبولوجي على اعتبار أنّه وسيلة لفهم ثقافة المجتمع يتعرّف من خلاله على تقاليد المجتمع المدروس، إنّ العلاقة بين الأنثروبولوجيا والأدب علاقة تأثير وتأثّر كونهما يستمدّان عناصرهما أو مادتها من المجتمع والواقع المعاش فالأديب يطرح قضايا من صميم الأنثروبولوجيا يتناولها في أدبه، و الأنثروبولوجيا تدرس الأدب الشّفهي الذي يتضمن: الأمثال الشّعبيّة، الأساطير،

---

[1]– محمد رياض: "الإنسان"، دراسة في نوع الحضارة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (دط)،2012، ص95.

[2]– غيبوب باية: الشخصية الأنثروبولوجية الفجائية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابرييل غارسيا ماركيز، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2012، ص 66.

[3]– ماهر شعبان الباري: التّذوق الأدبي"طبيعته، نظرياته، مقوّماته، معاييره، مقاييسه"، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 18.

والحكايات. و الباحثين الأنثروبولوجيّين يعتمدون الأسلوب الأدبي في كتابتهم لأنّ الأدب يشكل موضوعا للأنثروبولوجيا التّي أصبحت إطارا واسعا يضع النّصوص الأدبيّة في خانة الإنتاجيّات التّي يحاول الإنسان بواسطتها التّعبير عن ذاته، والتّعريف بجوانب حياته التّي تشكّل كيانا ثقافيّا ومعرفيّا كإنسان فعّال يعكس صورة مجتمع له خصوصيّات (مأكل، مشرب، ملبس، معتقد) .

من خلال دراستنا لعلاقة الأنثروبولوجيا بالأدب اتّضح أنّها علاقة تأثير متبادل في المناهج والأفكار، فالأدب في عمومه يشكّل مادّة وموضوع بحث للأنثروبولوجيا بطرحه لقضايا اجتماعيّة وثقافيّة وعلميّة و... إلخ .

هـ: علاقة الأنثروبولوجيا بالرّواية:

تنوّعت الأجناس الأدبيّة بين حكاية وقصّة وشعر ومسرحيّة ورواية... وهذه الأخيرة موضوع بحثنا التّي هي فعل يتضمّن مجموعة من الأخبار التّي تنقل حدثا فتصفه، وتصوّره كما هو والمقصود بفعل روى في اللّغة " **روى: رواية نقل حدثا ووصفه، سرد رواية، حكى وقصّ ما بعرف من تفاصيل ' روى معركة ' ، ' روى حادثة ' ، ' روى مغامراته ' "**[1] ؛ فالرّواية هي سرد للأحداث والقصص والوقائع ذات خلفيّات اجتماعيّة وثقافيّة ، تحمل في طيّاتها شخصيّات يقومون بأحداث في زمان ومكان معيّن ، وتعبّر عن عدّة قضايا يواجهها الإنسان يوميّا .

ومن هنا يتّضح أنّ الرّواية ما هي إلّا تعبير عن المظاهر الحياتيّة اليوميّة للإنسان، والوقائع التّي يمرّ بها.ونقطة الالتماس بين الأنثروبولوجيا والرّواية تكمن في الإنسان نفسه ، على اختلاف قضاياه، فالرّواية هي نقل جانب من تجربة إنسانيّة تحاول فيها معالجة قضاياهم كالدّين ، والعنف والطبقيّة التي بدورها هي مواضيع بحث الأنثروبولوجيا الدّينيّة والاجتماعيّة على التّوالي.

فالعلاقة بين الأنثروبولوجيا والرّواية إذا علاقة متميزّة هي علاقة تكامل حيث يوجد بينهما مساحة مشتركة لدراسة الإنسان لأن كليهما يستمد مادّته من المجتمع ، وعلاقة تأثير وتأثر متبادل على الرّغم من

[1] – أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني: مجمع الأمثال، دار الكتب العلمية، ط1 ج1، بيروت – لبنان ، 1988، ص600.

اختلاف أساليب فهم العالم وطرق التّعبير عنه ، وقد كان للأنثروبولوجيا دور فعّال في إثراء فنّ الرّواية حيث إنّ الإبداع الأدبي الرّوائي يطمح إلى فهم الإنسان، والأنثروبولوجيا تهدف لمعرفة أصل الإنسان ومكنوناته.

كما يمكننا القول : " **يعتبر الأنثروبولوجيّون أيضا كتابا ، وبالتّالي عليهم أن يسألوا أنفسهم عن اللّغة التّي يستعملونها في كتاباتهم.**"[1] أي أنّ علماء الأنثروبولوجيا يمكن تصنيفهم في خانة الكتّاب ذلك أنّهم يحملون خصائص الكتّاب الأدبيّين ، وعليهم فقط ضبط لغتهم ووضعها في قالب أدبي حتى يكتمل لقب الكاتب عند الباحث الأنثروبولوجي.

[1] – صورية مولوجي قروجي: ترجمة أنثروبولوجيا المغرب إلى العرب ، مجلة إشكالات، ع2، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، معهد الترجمة، جامعة وهران 1 – الجزائر، 2018 ، ص376.

خلاصة الفصل:

و من خلال ما تقدّم في هذا الفصل النّظري أنّ الأنثروبولوجيا ظهرت كعلم مستقل بذاته في القرن التّاسع عشر إلاّ أنّ إرهاصاته الأولى تمتدّ إلى ما قبل الميلاد، وأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من مختلف جوانبه وهي علم واسع ومتعدّد الأقسام والتّفرعات . عُرفت بتبادل علاقاتها و تنوّعها بين الكثير من العلوم حتى استعصى على الدّارسين تصنيفها بين العلوم الاجتماعيّة والعلوم التّطبيقيّة والعلوم الإنسانيّة ، فكانت ذات صلة بكثير من العلوم الأخرى شكّلت وإيّاها منظومة معرفيّة من موضوعات البحث حول الإنسان، وقد ركّزنا في دراستنا على علاقة الأدب بالأنثروبولوجيا ويمكننا القول أنّهما ملتقى للأفكار وعلاقتهما ضروريّة تعكس مختلف الرّؤى للعالم على وجه العموم، وللإنسان على وجه أخص، كونها تبحث عن خلجات الإنسان واختلاف تفكيره، لذلك يبقى هذا الموضوع جدليّا يصعب الفصل فيه، وفي الختام لا يسعنا إلّا أن نقول أنّ الأدب ينهل من مختلف العلوم ومنها على وجه الخصوص : الأنثروبولوجيا.

الفصل الثاني

الفصل الثّاني: تجلّيات الأنثروبولوجيا في رواية "الزّلزال" للطّاهر وطّار:

أولا: تجليّات الأنثروبولوجيا الثّقافيّة:

1/ العادات والتّقاليد:

أ. اللّباس.

ب. الطّعام.

ج. الأمثال.

2/ التّعليم.

3/ ازدواجيّة اللّغة.

ثانيا : تجليّات الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة:

1. علاقات القرابة.

2 . الزّواج.

3.المعتقدات الشّعبيّة:

أ. الأولياء الصّالحين والأضرحة.

ب . السّحر والشّعوذة.

ج. العدد سبعة.

أولا: تجليات الأنثروبولوجيا الثّقافيّة:

1: العادات والتّقاليد:

من المكوّنات الأساسيّة التّي ينطلق منها الأنثروبولوجي ، وقد عمد المؤلّف توظيفها في هذا النّص الرّوائي لإثرائه ، وللتّعبير عن الحياة اليوميّة للفرد، ووصف تصرّفاته المتكرّرة التّي تميّزه حضاريًّا عن غيره من الأفراد، وتميّز مجتمعا عن مجتمع آخر.

1/أ: اللّباس:

يعدّ بطاقة تعريف لصاحبه ، و الزّي التّقليدي يترجم هويّة البلد، ويعبّر عن شخصيّاته ، ويعتبر أحد أهم الأشكال التّراثية الثّقافيّة التّي يسعى الإنسان للحفاظ عليها ، وتحفل الجزائر بتشكيلة متنوّعة من الأزياء العريقة والمتفرّدة، فهنالك اللّباس : الوهراني، القبايلي، العاصمي... ويتنوّع بين: الحايك، العجار، البرنوس، الطّربوش... إلخ، لهذا تسعى كل : **"مجموعة بشريّة إلى الإنفراد بخصوصيّة معيّنة على مستوى اللّباس وتسعى جادة إلى الحرص على هذه الخصوصيّة والحفاظ عليها عبر تغذيتها باستمرار بالمنتجات الثّقافيّة الخاصة لمجموعة بشرية ما، وتطويرها تبعا لما تمليه السّياقات الحضاريّة"**[1]، وبذلك يكون اللّباس مرآة عاكسة لهويّة المجتمع ، ويوثّق حياة الفرد، وآبائه ، وأجداده، وهو الذي يحفظ ذكرياته وماضيه.

وقد تبوّأ اللّباس مكانة مهمّة في رواية **"الزّلزال"** ، حيث تمكّن **"الطّاهر وطّار"** من خلاله التّوغل في عمق المجتمع الجزائري ،أشار في العديد من المواقف بعض الملابس نذكر منها على سبيل التّمثيل لا الحصر:

البرنس: يعتبر أحد رموز الثّقافة في الجزائر عامّة ، و" **البرنس : كلمة يونانيّة معربة ، أصلها في اليونانيّة Birros، وعرفتها الفرنسيّة من العربيّة، وهي في الفرنسيّة : Burnous، وهي**

[1]- إبراهيم الحجري : المتخيل الروائي العربي (الجسد، الهوية ، الآخر) مقارب سردية أنثروبولوجية ، محاكاة للنشر والتوزيع، سوريا، ط1 ، 2013، ص58.

تعني: رداء أو ثوب رأسه ملتصق به ، أو رداء رأسه منه ، معطف طفل ثوب طويل بقلنسوة ، أو غطاء للرأس والعنق "[1]، فهو غطاء يتمّ وضعه على الكتفين يكون على شكل رداء مفتوح يتدلّى منه غطاء للرّأس ، ويعدّ رمزا خاصًّا للمناسبات السّعيدة : الختان ، حفلات الزّفاف . يقول الرّوائي في هذا الصّدد : "... **كنت في الخامسة عشر وكانت في التّاسعة ... ذبحت الذبائح ، أقيمت الولائم ، ألبسوني برنسا حريريّا، وحذاء لماعا...**"[2]، نلاحظ أنّ الكاتب وظّف البرنس في مناسبة زواج بطل الرّواية للتّعبير عن الفرح والسّعادة، كانت النّساء قديما تحِكْنه لأزواجهن وأبنائهن، و "**البَرنوس**" بفتح الباء كما يُسمّى في اللّهجة الجزائريّة " **برنوص : نوع من اللّحف والأغطية** "[3]، إضافة إلى قيمته المعنويّة، فله قيمة تاريخيّة، فهو رمز للخيانة ، ويظهر هذا في قول الرّوائي: " ... **وعندما عاد من حرب الشّام ، ألبسوه برنسًا أحمر ، ونصّبوه (قايدا)**"[4]؛ أي أنّ بو الارواح خائن لأنّه ألبسوه اللّباس الأحمر، كما يرمز أيضا للقيادة والإمامة، فقد ارتداه الأئمّة والمشايخ مثل : الأمير عبد القادر.

الملاية: لباس أصيل عند النّساء خاصّة في منطقة الشّرق الجزائري : عنّابة و قسنطينة ، "**المُلاءة : بالضّم والمدّ : الرّيطة ؛ وهي الملحفة ، والجمع مُلاء ...وزاد في التاج : المُلاءة و الرّيطة مترادفتان ، وقيل: الملاءة هي الملحفة ذات اللّفقين، وأهل الأندلس كانوا يقولون لبعض أردية الحرير : ملاءة، وإنما المُلاءة الملحفة.**"[5]،وتختلف تسميتها من منطقة لأخرى : اللّحفة، العباية، الحايك، الملحفة... وهي قطعة من القماش سوداء اللّون تلفّها المرأة بعناية على سائر جسدها لتضمن تغطية وإخفاء كامل جسمها، تعدّ لباس الحياء والعفّة ،وقد أشار الرّوائي إلى هذا النّوع من اللّباس عدّة

[1]- رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربي لأسماء الملابس ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1، 2002، ص 61.

[2]- الطاهر وطار: رواية الزلزال ، موقع للنشر ، الجزائر د.ط ، 2007 ، ص 245.

[3]- عبد الرحمان بن عبد العزيز المانع : معجم الكلمات الشعبية في نجد، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر ، الرياض- السعودية ، ط1 ، 1418 هجري ، ص129.

[4]-الرواية ، ص 244.

[5]- رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص 477.

مرّات ، مثلا :" **تنحى جانبا ، ليمر رجل يحتضن امرأة ملتفّة في ملاءة سوداء.**"[1] نستنتج أنّها من أعرق الملابس التّقليديّة لدى المرأة الجزائريّة، حيث ترتديه عند خروجها من المنزل ، فهي وسيلة للسّتر،والعفاف، وكسب احترام الآخرين .

و يقول في موضع آخر " ... **إلى جانبهما امرأة في ملايتها عند ركبتي طالب.**"[2] ؛ فالملاية لباس مميّز ظلّ لوقت قريب جزءا مهما من الحياة اليوميّة والمعاشة ، وتستمدّ حضورها الآن كجزء من التّراث ، على الرّغم من أنّها تتعرّض للتّهديد بالزّوال نظرا لعزوف الجيل الجديد عن ارتدائها، وتحوّلت للباس لكبار السّن فقط، حيث مازالت تحتفظ به الجدّات إلى يومنا هذا.

الطّربوش: غطاء للرّأس يشبه القبّعة ، و "**الطَّرْبُوش : بفتح فسكون فضم : كلمة فارسية معربة ؛ وأصلها في الفارسية : سربوش ؛ مركبة من : سَرْ ؛ أي : رأس ، ومن بوش أي : غطاء ؛ والمعنى الكلّي : غطاء الرأس . والطربوش من ملابس الرأس التي شاع استعمالها مع بداية العصر الحديث...**"[3]؛ ويكون على شكل مخروط رأسه دائري ، و في منتصف تلك الدّائرة مجموعة من الخيوط الحريريّة السّوداء، يتمايز لونه بين لأحمر الفاتح والأحمر الدّاكن والأبيض. نشأ واستخدم أوّل مرّة في عهد الدّولة البيزنطية ثم انتقل إلى الدّولة العثمانيّة ، واستخدمه كل من كان تحت سلطة الحكم العثماني : بلاد الشّام ، مصر،الجزائر... أطلق عليه الجزائريّون اسم شاشيّة اسطنبولي ، واختاره "**مصالي الحاج**" كرمز تاريخي يدلّ على انتماء الجزائر للهويّة العربيّة الإسلاميّة ، و وظّفه "**الطّاهر وطّار** " في روايته ، ونجده في قوله : " **بحث عن صاحب الصّوت، حتّى قابله ، شيخ حضري بطربوشه الأحمر الطويل ...**"[4] ، و اعتبر وقتها رمزا للتّحضر والمدنيّة ؛ حيث لبسه كبار الدّولة و الباشاوات ،و يظهر ذلك في قوله : " **وكبار السّماسرة ورجال الأعمال ، بالغباريّات الرماديّة والطّرابيش الحمر ، والعجوز ' ايدير ' ،**

---

[1]- الرواية ، ص 172.

[2]- الرواية ، ص 193.

[3]- رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس ، ص 299.

[4]- الرواية ، ص11.

ملك الأرض والأنعام والنّقود ، إمبراطور العثمانيّة و قسنطينة ، يجلس في الوسط ، كأنّما ، هو يتربّع العرش."[1] ، وكان ارتداؤه في القديم ضروريًّا ، وتدل جودته على مقام السّيد أو الباشا الذي يرتديه ، ليصبح مع مرور الزّمن جزء من اللّباس التّقليدي الجزائري الأصيل الذي لا غنى عنه في الثّقافة العربيّة.

1/ب: الطّعام:

الطّعام ظاهرة فسيولوجيّة مهمّة في حياة المجتمعات،وهو أساس الوجود الإنساني" **فالطّعام (الغذاء) كظاهرة ثقافية أو اجتماعية ليس ببساطة مركب عضوي كيماوي يحمي الإنسان، كل فرد أو عضو في المجتمع له طابع معيّن عن الغذاء وهو متأثّر بثقافة المجتمع الخاص به تحت الظّروف المفروضة والانتفاع بالغذاء وتحويل جميع المواد الغذائيّة إلى طعام**"[2]. لكنّه يختلف من بلد لآخر بحسب طبيعة الشّعب، والتّقاليد المتوارثة من أجدادهم، و باختلاف المكان والمناخ والدّيانة، والشّيء المشترك بينهم أنّ جميعهم على علم بأنّ الطّعام يُزوّد جسم الإنسان بالمواد التّي يحتاجها لمقاومة التّعب ومختلف الأمراض.

و تختلف آداب وعادات أكل الطّعام من منطقة لأخرى ومن شخص لآخر، فكلّ شخص لديه أسلوبه الخاص، فمنهم من يستخدم العصيّ في الأكل و آخرون يتناولون بأيديهم، والبعض الآخر يأكل بالشّوك والسّكاكين، وحتّى المأكولات تختلف بحسب الموقع والمناخ، فهناك من يأكل أرجل الضّفادع ومن يأكل الحلزون وحتّى الأفاعي و الكلاب لها ذوقها الخاص عند بعض البشر.

و سكّان الجزر مثلا يعتمدون على الأغذية البحريّة، وفي المناطق الاستوائيّة تعدّ الفواكه والخضراوات طعامهم الأساسي، والموز والزّيتون في الإكوادور ... أمّا في البلاد العربيّة ففي التّوارق مثلا

---

[1]- الرواية ، ص 99.

[2]-سعاد علي شعبان: الانثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا، قسم التصوير بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم الأنثروبولوجيا، جامعة القاهرة، مصر، 2004م، ص65.

يعتمدون في أكلهم على التّمر، والألبان، وبعض النّباتات، والحيوانات التّي يصطادونها، بالإضافة إلى الحبوب الجافّة ، واستثمار ما جادت به بيئتهم الجّافة.

و يتميّز فنّ الطّبخ في الجزائر بصفة عامّة بتنوّع أطباقها التّقليديّة: كالشّخشوخة والكسكس والطمينة و الملوخية وحلويّات الزّلابية وغيرها من المأكولات، و في رواية الزّلزال ذكر لنا الكاتب بعض المأكولات الشعبيّة التّي تزخر بها المنطقة نذكر منها:

أ-الكسكس:

أكلة شعبيّة تقليديّة معروفة منذ القديم، وهو من الوجبات الرئيسيّة المشهورة بين أوساط المجتمع الجزائري التّي لا تغيب طويلاً عن المائدة،فهو حاضر في الأفراح و الأقراح ، وطبق تقليدي يرمز إلى أصالة المرأة الجزائرية والمجتمع الجزائري ، ويتميّز الكسكس بتنوعه إذ يعد بأكثر من طريقة ، وتشكل التوابل أحد أهم العناصر التي تميز بين نكهة الطّبق بين منطقة وأخرى، يوجد كسكس بالخضار و اللحوم، المسفوف، كسكس النّقانق، كسكس الفول ، كسكس الشعير، كسكس بالزبيب، كسكس بالحليب...وغيرها.

و (الكسكس) عبارة عن حبيبات صغيرة من دقيق القمح أو الشّعير التّي يتمّ تحضيرها بطريقة خاصة جدّا تسمّى (الفتيل) حيث تجتمع نسوة العائلة، أو الجيران في منزل واحد، ويشرعن في تحضيرها باستخدام أدوات تقليديّة مثل الغربال، و صينيّة كبيرة و كسكاس -وهو إناء دائري الشّكل مملوء بثقوب صغيرة ليخرج منها البخار أثناء الطّبخ ويستعمل لتبخير حبات الكسكس-، وفي وعاء خشبي يوضع السّميد، و يُدعك براحة اليد بينما اليد الأخرى تصبّ بعضا من الماء، و بعد فترة يتحول السميد إلى حبيبات صغيرة بعدها تمرّر على الغربال وتوضع في الكسكاس كي تفور و تخبئ عند الحاجة إليها، وهذا كلّه على صدى أغانٍ تراثية. وعند الرغبة في أكل الكسكس توضع على قدر فيه مرق مع وضع شريط طويل على جانبي الكسكاس لحجز البخار الذي يخرج بينه وبين القدر، و تطهى على نار هادئة، وعندما تنضج تُقدم في صحن كبير، وتُسقى بالمرق مع إضافة الخضار ،و اللّحم، والحمص، والبصل كتزيين.

وقد لعب (الكسكس) دورا هامًّا في الحفاظ على التّراث الجزائري من الاندثار، وهذا ما يظهر جليّا من خلال ما أورده الرّوائي في قوله:" **بعض عجائز يفتلن الكسكسي في مخازن ضيّقة**"[1]، و هذا الطّبق عنوان الفرح والخير والبركة، و يُقدّم في المناسبات و الأيام العاديّة وحتّى في الجنائز ، وقد كان ولا يزال سيّد الأطباق التقليديّة عند المجتمع الجزائري.

ب- الخبز:

هو الغذاء الرّئيسي عند كثير من شعوب العالم، عرفه الإنسان منذ قديم العصور أي منذ بدأ نشاطه الزّراعي، يُعدّ بطرق كثيرة تختلف من مجتمع إلى آخر، "**يُحضر بالطّحين(القمح أو الذّرة أو الشّعير) والماء، والملح، والخميرة**"[2]. في بلدان كثيرة يصنع الناس الخبز بالطّريقة اليدويّة كما كان يفعل القدماء، أما في الدّول الصّناعيّة فيصنعون الخبز في المخابز التّجارية باستخدام الآلات.

وقد تعدّدت أنواع الخبز، وأشكاله، ونكهاته حول العالم، هناك خبز الخميرة وخبز الشّعير وخبز الذّرة، في أمريكا الوسطى يسمّونه بالتُّرتية مصنوع من الذّرة، وشعوب الشّرق الأقصى يصنعونه من دقيق الأرز، أمّا في الهند فيطلقون عليه اسم شاباتي ويقدّم على شكل أرغفة ويحضر من الدّقيق الأسمر، وفي الشّرق العربي معروف باسم الرّغيف يصنع من القمح.

و مهما اختلف الخبز شكلا ومضموناً يبقى الغذاء الأساس للإنسان ، وقد نسجت الشّعوب البدائيّة من علاقة الخبز بالحياة أسطورة خرافية "**تُشبّه العجين برحم المرأة الحامل الذي يكبر شيئاً فشيئاً إلى أن ينضج فيُقدم الحياة.. تماماً كما العجين الذي يرتفع بالخميرة إلى أن يصبح جاهزاً ليُخبز ويؤكل. وتتجسد هذه الأسطورة في بعض التقاليد القديمة عند النساء الإيطاليات، على سبيل المثال، اللواتي كنّ يقفن أمام المعجن، ويقلدن أوجاع الولادة وانقباضات الرحم المؤلمة**

[1]- الرواية ، ص226.

[2]- ويكيبيديا، الموسوعة الحر ة ،تاريخ الاطلا ع: 2022/5/18 ،
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D8%A8%D8%B2

أملاً في أن يرتفع العجين ويتخمّر. أما في البلاد العربيّة فحمل الخبز اسم "عيش" دلالة على أن الحياة تتمحور حوله وتتعلّق به"[1].

و قد استحضر الرّوائي الخبز في عدّة مواضع في قوله:" **هذه متطلّبات الحياة ..هذه كرّاسة، وذلك حذاء وهذا نور، وهذه قارورة غاز، وهذا خبز وملح وزيت** "[2] ، " **النّساء والرّجال من جميع الأعمار، يجلسون وسط دخان فرن مخبزة** "[3]، "**عجوز في ذراعها خبزات تجلس تحت الحائط وتتحدّث بصوت مرتفع إلى شخص غير مرئي: قلت لك يا أختي إنّ خبزهم يابس لا يصلح إلّا للمرق**"[4]. وفي مقطع آخر يقول :" **لم يعلّق أحد على قراره، فهم يعرفون جميعا، أن الخبزة لن تعدم في ظله**"[5]، و مصطلح الخبزة يستخدمه الجزائريّون للدّلالة على العمل، ويُقصد به لقمة العيش، والخبز جزء من ثقافة الشّعوب وليس قوتا يوميًّا يوضع على الموائد فحسب.

ج- الفريك:

من بين الحبوب التّي تعدّ بها أشهر الأطباق والوجبات كالشُّربة، وهو "**أكلة قديمة انتشرت في مصر والشّام وبلاد العراق وكانت تُطهى طوال العام خاصّة في الرّبيع قبل حصاد القمح، حيث كان المصريّون القدماء يجمعون حبوب القمح الأخضر ويعرضونه لنار قويّة ثم يُجرش ويُطبخ مع اللّحم أو يُأكل مع الحليب**"[6].

---

[1]- جوسلين الدبس وماجد نعمة ونجاح طلعت وأمينة خيري:الخبز رغيف الحياة، تاريخ الاطلاع 2022/5/17 ، https://qafilah.com/ar.

[2]- الرواية، ص 69.

[3]- الرواية، ص 188.

[4]- الرواية، ص192.

[5]- الرواية، ص 249.

[6]- آية وهيب: أكلات مصرية تاريخية أوشكت على الاختفاء، تاريخ الاطلاع:2022/5/18،// http: www.fatafeat.com

والفريك متوارث عبر الأجيال و طبق أصيل يعكس جانبا من الحياة المعيشيّة القديمة، ويستعمل في تحضير شربة الفريك باللّحم الغنمي المعروفة كشربة أساسيّة عند الجزائريّين ،وهي مشهورة في 58 ولاية في الشّرق يفضّلون الشّربة وعند الغرب يفضّلون الحريرة وهي ذات فوائد صحيّة متعدّدة، و تحتوي على سعرات حراريّة عالية تفيد جسم الإنسان .

و كانت ربّات البيوت تسهرن في تنقية الفريك بمهارة عالية وسط أجواء حميميّة تساعد على إضفاء الدّفء العائلي، وهو ما يتجلّى في الرّواية من خلال قوله: " **ثم سَكنٌ تجلس عند بابه عجوزتان . ظلّت إحداهما منهمكة في تنقية الفريك، وحولها قدر وعدّة فناجين**"[1]، وفي قوله:" **توقف أمام مخزن فيه عدة قوارير غاز، و عدة علب صابون، وصفائح زيت لا يدري أكانت فارغة أم ملأى، وكيس فريك غير مطحون**"[2]، "**فريك لرمضان**"[3]، و يظلّ شربة الفريك (حساء) من الأكلات الأصيلة التي خلّفها الأجداد باعتباره وجبة غذائيّة تقليديّة ذات فوائد صحيّة ومن أشهى المأكولات التي اشتهرت بها الجزائر.

د- القهوة:

تعتبر القهوة من المنبّهات نظرا لاحتوائها على نسبة عالية من الكافيين، وهي من أكثر المشروبات شعبيّة و استهلاكا في جميع أنحاء العالم، و تُقدّم ساخنة أو باردة، ويتم تحضيرها عن طريق "**مسحوق بذور البن وتكون تلك البذور داخل الثّمرة وتمتاز أشجار البن بأنّها تستطيع العيش لما يقارب المائة عام وتنتج بشكل كبير بين السنة السابعة والعشرين حيث تنتج الشجرة الواحدة ما يعادل 453 كيلو جرام من البن في ذلك الوقت ويتم حصاد ثمارها عندما يتحول لونها إلى الأحمر وبعد ذلك يتم تجفيف البذور بواسطة أشعة الشمس أو بطرق أخرى**"[4]. و كان أول دليل موثوق

[1]- الرواية، ص 181.

[2]- الرواية، ص 278.

[3]-الرواية، ص287.

[4]- تعبير عن القهوة، تاريخ الاطلاع: 2022/5/18، https://islamkids.net .

لظهور البن أو القهوة في " **منتصف القرن الخامس عشر في الأديرة الصوفية باليمن جنوب شبه الجزيرة العربية، وخلال القرن السادس عشر وصلت القهوة إلى بقية الشرق الأوسط كبلاد فارس وتركيا وشمال أفريقيا، وكان أول تصدير لبذور القهوة من إثيوبيا إلى اليمن**"[1]. وقد استحضر الروائي القهوة في الرّواية بقوله:"**هيّا تشرب قهوة في منزلي**"[2]، " **هنا في الوسط، شخصان يحملان جبا بيضاء في ذراعيهما، ويحتسيان القهوة معا**"[3]، وفي مقطع آخر يظهر الشّيخ بو الأرواح مناديا القهواجي وهو ما يظهر جليّا في سياق الخطاب الرّوائي من خلال الحوار الآتي:"

-ياقهواجي.

-حاضر.

-قهوة.

-شاي.

-بن هارون.

-العربون.

-العربون أولا.

-لا هذه في الطرح الأول."[4]

[1]-هند حجازي: عادات وتقاليد شرب وتقديم القهوة عند الشعوب، تاريخ النشر: 14 أكتوبر 2017، تاريخ الاطلاع :5/18/ https://www.sayidaty.net/nod 2022،

[2]- الرواية، ص69.

[3]- الرواية، ص 102.

[4]- الرواية، ص204.

وفي مقطع آخر يذكر القهوة فيقول:" **نحتشد فوقها.الصّخرة المتذاوبة. نكدّس الزّيت والسّكر والصّابون والقهوة والدّقيق، ونلد ونلد، ونبيع مالا يباع، ونشتري مالا يشترى**"[1]، ونرى من خلال الرّواية أنّ القهوة تحظى بشعبيّة كبيرة جدّا بين الشباب، وكبار السنّ، وتُشرب صباحا ومساءً، وتُقدّم للضّيوف وفق عادات متعارف عليها وتختلف طريقة تقديمها من بلد لآخر. وتبقى القهوة جزء من ثقافة الإنسان التّي تعبّر عن هويّته ككائن اجتماعي.

1/ج : الأمثال: شكل من أشكال التّعبير الشّفهي ، يعبّر عن الحياة اليوميّة ، وهي جمل تحمل معاني تُلْقى على عامة الناس ، منها ما هو فصيح ومنها ما هو عامّي ، له تأثير كبير على سلوكيّات الفرد داخل المجتمع سواء بالإيجاب أو بالسّلب، وقد استحضر الطّاهر وطّار في روايته مجموعة من الأمثال ، سنحاول شرحها وتبسيطها ما أمكن :

- " **الشّر يعلّم السقاطة ، والعرى يعلّم الخياطة** "[2] ، ومعناه أنّ الجوع يجعل الإنسان طمّاعا ، وقد يلجأ إلى السّرقة من أجل إشباع بطنه، والعبارة الثانيّة معناها أنّ العري يجعل الإنسان يمارس مهنة لم يكن يهتمّ بها، ولم يفكّر في ممارستها بتاتا.
- " **على المرء أن لا يؤجل عمل يومه إلى غده.** "[3] ،. أي لا تتهاون في أداء الواجبات وعليك تأديتها في وقتها ، ولا تتّبع سياسة التّسويف بل عليك أنجاز كل ما عليك في أوانه.
- "**تجري الرياح بما لا تشتهيه السفن.**"[4] ، معناه ليس كل ما نتمناه يمكننا تحقيقه.
- " **يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر.**"[5] ، و يعني لا تستهن بالمكان فقد يوجد فيه ما لا يمكنك توقعه.

---

[1]- الرواية، ص 238.

[2]- الرواية ص 69.

[3]- الرواية ص 212.

[4]- الرواية ص280.

[5]- الرواية ص 81.

- " **كل إناء بما فيه يرشح** "[1] ، معناه كل نفس تفيض بما ملئت به، فإذا كان الإنسان قد شبّ على الأخلاق الحسنة فإنّه سيظهر ذلك، أو يظهر التزامه بهذه الأخلاق، والعكس صحيح.
- " **حنان الدجاجة بلا رضاعة** ."[2] ، هنا سخرية من الأشخاص الذّين يظهرون عطفهم و محبتهم للآخرين وبداخلهم يضمرون العكس .

هذه بعض الأمثال التّي وردت في الرّواية، يلقونها عندما يجتمعون بدافع التّحفيز ، أو التّذكير ، أو إيصال أمر مقصود ، لأنّها تتميّز بالقصديّة والثّبات ، وسرعة الانتشار والتّداول بين الناس ، لأنّها موجزة في اللّفظ و تصيب المعنى.

2/ التّعليم:

من الأولويّات التّي تستند عليها الأمم و المجتمعات لبناء حضارتها، والتّي تولي لها الدّولة أهميّة بالغة من جميع النّواحي ، اقتصاديا ؛ من خلال الميزانية التّي ترصدها للتّعليم ، وبشريا ؛ من خلال الطّاقة البشريّة التّي يضمها القطاع، والله تعالى أوصانا بالعلم والتعلم لقوله جل جلاله : " **اقرأ بسم ربك الذي خلق** " [3] ، فكلما رُفعت وازدادت درجة العلم ثقل ميزان الإيمان ، وقد وُضعت له قوانين وأسس ومناهج لتحصيله ، وبخصوص حضوره في الرّواية نجد الشّخصية الرّئيسة على قدر من التّعلم ومثال للثّقافة والوعي الاجتماعي يتّضح ذلك من خلال قول الراوي : " **عدت إلى الوحدة ، الأرض في يدي ، الفقه والنحو والصرف في رأسي...**"[4] ، لأنه لم يجد أي أحد من أقربائه ، وعاد خالي الوفاض بعد رحلة بحث طويلة باءت بالفشل، وجد فقط زاده المعرفي ، فكما يُقال : " **خير جليس في الأنام كتاب** " . ونجد أنّ التعليم قد مرّ بمرحلتين .

---

[1]- الرواية ص 36.

[2]- الرواية ص 143.

[3]- القرآن الكريم، رواية ورش، سورة العلق، الآية 1، ص 597.

[4]- الرواية ، ص 261.

2/أ : التّعليم في الكتاتيب والزّوايا:

" الكُتّاب بضمّ الكاف وتشديد التاء : موضع تعليم الكتاب (أي الكتابة) والجمع الكتاتيب ... والكتاب عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد ، أو بعيدة عنه ، أو غرفة في المنزل، وقد يبنى الكتاب خصيصا لتعليم القرآن ، يبنيه صاحبه احتسابا لله، وطلبا لأجر الآخرة ... "[1] ، كانت بمثابة التّعليم الأولي والأساسي الذي انتشر في البلدان العربيّة الإسلاميّة بشكل عام، والجزائر بشكل خاص ، وفي القرى والأرياف على وجه أخصّ، وهي مراكز لتحفيظ القرآن وتعليم أساسيّات اللّغة العربيّة : القراءة ، الكتابة ، النّحو ، الفقه ، الصّرف ، ويبدو أنّ بطل الرواية تلقى تعليمه في الكتاتيب والزّوايا يتضح هذا من خلال قوله : **"الفقه والنحو والصرف في رأسي "**[2]، هذه المراكز للتّعلم تكون إما وسط ساحة كبيرة أو ملحق في المسجد، أو وسط البيت، حيث أنّه بسبب الاستعمار أضحى النّاس يتعلّمون في البيوت و المساجد لحماية العقيدة الإسلاميّة ، و لمحو الأميّة، و للتّعرف على أسس الهويّة الوطنيّة لمجابهة العدو، وكانت مصنع العظماء لرجال الدّين والأدب وكبار المفكّرين والعلماء. ذكر الكاتب في روايته عدّة زوايا :" **إلى جانبه زاوية الكتانية"**[3] ، **"أم عن عيسى المتصّوف في زاوية سيدي عبد المؤمن؟ ..."**[4]، **"زاهدا ، متعبدا ، مقدما في زاوية سيدي عبد المؤمن..."**[5]، **" الجامع الأخضر وجامع ميمون، وزاوية المصلى على اليمين ..."**[6] ، فعلى الرّغم من أنّ الرّوائي لم يقدّم لنا وصفا دقيقا للزاوية والكتاتيب ، إلاّ أنّ حضورها جدّ بارز في الرّواية ، ولها دور مهم في البناء العلمي والتّربوي لأفراد المجتمع لاهتمامهم بتنشئة الطّفل منذ الصّغر تنشئة دينيّة تربويّة.

---

[1]- عبد الرحمان بن محمد التيجاني : الكتاتيب القرآنية بندرومة من1900 إلى 1977 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983، ص17.

[2]- الرواية ، ص 261.

[3]- الرواية ، ص 280.

[4]- الرواية ص 133.

[5]- الرواية، ص186.

[6]- الرواية ، ص 22.

لقد أشار الرّوائي إلى التّغيّرات الجذريّة التّي مسّت قطاع التّعليم بعد الاستقلال ، فقد حدثت ثورة على القطاع والنّظام التربوي ، لهذا نُصّبت لجنة وطنيّة لإصلاح التّعليم ، حرصت على مضاعفة السّاعات المخصّصة للّغة العربيّة، لاستعادة الأصالة والمحافظة على الشّخصية الإسلاميّة العربيّة، يظهر هذا في قول بطل الرّواية : "**الزوايا صارت تكميليات وثانويات.**"[1].

2/ب: التّعليم الأكاديمي:

شهدت الجزائر غداة الاستقلال تغيّرات واضحة في ظلّ تأسيس دولة مستقلّة، مركّزة على التّربية والتّعليم من أجل النّهوض بالأمّة، و تنمية الوطن، عاملة بكل الوسائل الممكنة على التّخلص من مخلّفات الاستعمار الفرنسي التّي حاول غرسها في المجتمع الجزائري ، ساعية إلى رفع مستوى التعليم الدراسي ، مُقِرة بمبدأ التّمدرس المجاني للجميع ، من المرحلة الابتدائيّة إلى الجامعيّة ؛ أي أنّه للجميع الحقّ في التعلّم ، وقد أشار الرّوائي إلى مناهج التعليم الأكاديمي الرسمي ، الذي يلي مرحلة الزوايا والكتاتيب، ويمرّ الطّفل في حياته الدّراسيّة بمراحل هي :

- **المرحلة الابتدائيّة:** وتسمّى أيضا المرحلة التّحضيريّة، يتعلّم فيها الطّفل: الحروف والأرقام وعدّة أشياء بسيطة، ويتعلّم القراءة بعد إتقانه للحروف ثمّ يتدرّب على فهم ما يقرأ ، فيكتسب زادا لغويّا من خلال هذه النّصوص،وقد أشار الكاتب إلى عدّة مدارس في نصّه الرّوائي نذكر منها " **تحت مدرسة عقبة بن نافع**" [2]، و قوله أيضا: " **مدرسة إلى جانب التّكميليّة : مدرسة صالح باي.**"[3] فقد سعت المنظومة التّربويّة إلى نشر التّعليم على نطاق واسع بين البلدان ، وحرصت على بناء المدارس في كل ربوع الوطن ف : " **منذ صارت البلديات مسؤولة عن بناء المدارس ، لم تبقى 'دشرة ' بدون مدرسة ، حتى**

[1]- الرواية ، ص 290.
[2]- الرواية ، ص 226.
[3]- الرواية ، ص 281.

الذين لا أمل لهم في أن يصلهم معلم في سنة أو أكثر ، يبنون المدرسة ويروحون يطرقون الأبواب."[1] ؛ نلاحظ إقبال الجزائريّين الشّديد على التّعلم ، ومحاولتهم الالتحاق بركب الدّول المتقدّمة.

- **مرحلة التّعليم المتوسّط:** وتسمّى أيضا المرحلة الإعداديّة ، يتعلّم فيها التلّميذ كيفيّة التّحليل والاستنتاج من خلال مقاطع تجزأ إلى ميادين ومحتويات يكتسب من خلالها معلومات جديدة تمكنه من حل وضعيات معقدة لها علاقة بحياته الاجتماعية ،وتهتم بتعديل سلوك التلميذ ، تكون بمثابة إكمال لما جاء في المرحلة الابتدائيّة لهذا سمّيت إكماليّة أو تكميليّة : " **والزّوايا صارت تكميليّات** ."[2] ؛ أي أنّ التّغيير مس التّعليم فبين لنا أنه قبل الاستقلال كان التعليم في الزوايا وبعده صار التعليم أكاديميا، يقول أيضا : " **مدرسة إلى جانب التّكميليّة** "[3]؛ يتعلّم فيها التّلميذ مناهج علميّة ومعرفيّة جديدة يستثمرها في حياته الشّخصيّة ، تستمرّ هذه المرحلة أربع سنوات ، يجتاز التّلميذ في نهايتها شهادة التّعليم المتوسّط ،لينتقل إلى مرحلة جديدة .
- **مرحلة التّعليم الثانوي:** هو المرحلة الأخيرة من مراحل التّعليم الذي يندرج ضمن وزارة التّربية والتّعليم ، لينتقل بعد ذلك إلى طور الدّراسات العليا؛ أي وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي ،يكون هذا بعد مرور مدّة ثلاث سنوات يدرس فيها التّلميذ شعبته الّتي اختارها في المرحلة التّكميليّة ؛ إمّا العلوم أو الآداب ،تنتهي هذه المرحلة باجتياز امتحان البكالوريا، بعد النّجاح فيه يتخصّص الطالب أكثر في دراسته.

أشار الكاتب إلى "**الثّانوية**" في كثير من المرّات ، نستحضر منها : "...**حتّى تشتدّ بين الخامسة والتّاسعة عندما يغادر التّلاميذ المدارس و الثّانويات والمعاهد...**"[4]، وأيضا : "**لزيارة ابنه في الثّانوية...**"[5]، وكذلك في قول الشّخصية البطلة :

" – هل أنت من الحكومة أيها الشيخ؟

---

[1]– الرواية ، ص292.

[2]– الرواية ، ص 290.

[3]– الرواية ، ص 281.

[4]– الرواية ص8.

[5]– الرواية ص31.

- **نعم ولا، أنا مدير ثانوية في العاصمة."**[1]

وفي قوله أيضا " ... **خاصة عندما أعلن الشّاب عن إصراره على دفع ثمن المشروب ، إكراما لمدير الثّانوية ، وكلّ مديري الثّانويات ، فابنه انخرط في الثّانوية ، وسينال منحة من الدّولة..."**[2] .

ذكر أيضا إحدى الثّانويات : " **هذا شارع فرنسا سابقا، حيث ينتهي شارع 'كراما' حيث ثانويّة ' أومال '.**"[3] ، وراح يصفها : "**هذه ثانويّة " أومال " سابقا ، ما أبشع الخطّ الذي تحمله لافتتها، رضا حوحو ، حتّى اللّون الذي صبغوها به قاتم، كأنّه لون ثكنة أو سجن ... إنّه مبني بالآجر والطّين وليس بالإسمنت... ابن خلدون الخبيث يقول إن مباني العجم أمتن وأبقى من مباني العرب،...**"[4]، يظهر البطل هنا سخطه على الواقع الذي آلت إليه الجزائر بعد استقلالها ، ونلاحظ أنّه متعصّب لما كانت عليه أيّام الاحتلال الفرنسي.

3/ ازدواجيّة اللّغة:

تُعدّ اللّغة مدخلا مهما لفهم الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة في المجتمع ، وهي ظاهرة سيكولوجيّة ثقافيّة مكتسبة، ووسيلة للتّواصل والمعرفة؛ لديها كامل القدرة على التّعامل مع مطالب المجتمع ، و يعتمد عليها الأنثروبولوجيّون في أبحاثهم، و بفضلها سَهُلَت عليهم دراسة الإنسان . وتتنوّع اللّغة بين : الفصحى والعاميّة ، ونجد "**الطّاهر وطّار**" في روايته هذه مزج بينهما .

أ : اللّغة الفصحى: استطاعت أن تنقل لنا حجم المعاناة التّي يعيشها الجزائريّون تلك الفترة، واقتضت طبيعة النّص استعمال مستوى لغوي فصيح في الحوار ، وفي سرد الأحداث ، خاصة البطل عبد المجيد بو الأرواح ، الذي أدّى دور الشّخصيّة المثقّفة ذات المستوى العالي ، يتّضح هذا من قول الرّوائي :" **أنا**

[1]- الرواية ص 112.
[2]- الرواية ص 113.
[3]- الرواية ص42.
[4]- الرواية ص 272.

عبد المجيد بو الأرواح ، عم الطّاهر صهرك ، مدير ثانوية بالجزائر العاصمة ، و عالم في الدين والنّحو و الصّرف ، ألم تسمع بي قبل اليوم؟"[1] ، نجده هنا يفتخر ويعتزّ بما يفقه فيه ، وبمنصبه ومكانته في المجتمع ، ويستغرب من الذين لا يعرفونه، ولا يسمعون عنه.

وفي قوله أيضا : " **إلى جانب ابن باديس وأهل الفضل والعلم من صحابته وتلاميذه كنا نعمّر ولا نخرّب، نعمر الألسنة بلغة الضاد، لغة القرآن الكريم، نعمر الأفئدة بالدين ، بالحديث والسنة ، وما كان عليه السلف** ..."[2]؛ نلاحظ فصاحة تعبيره ، وبلاغة قوله من خلال استعماله للّغة العربيّة الفصحى، التيّ تعدّ أساس الجمال في أي عمل إبداعي.

ب : اللّهجة العاميّة: تُعرف أيضا باللّهجة الدّارجة ،لغة العامّة ... وقد وظّفها الرّوائي بنسبة معتبرة في النّص، فنجده بسّط اللّغة ليجعلها مفهومة و قريبة لدى فئات المجتمع ذلك أنّها تندرج ضمن الثّقافة الشّعبيّة ، و يستخدمها عامّة النّاس لأنّها بلا قيود ،و تتميّز بسرعة الأداء والخفّة في تبليغ الأفكار دون الخضوع لقواعد إعرابيّة .

وتختلف اللّهجات من منطقة لأخرى مثل : اللّهجة الشّرقية في قول الكاتب : " **واصلت المرأة عراكها ، بلهجة الحدود الشرقية...**" [3]، واللّهجة القلّية في قول الروائي : " **وارتفع إلى سمعه صوت عجوز تحكي لأخرى بلهجة ' قلّية ' بارزة ، وأمامها ألياف قنب مجزّأة كويرات كويرات.**"[4] واللّهجة القسنطينيّة في قوله : " **في المنعطف التحق به شيخان يتحدثان بلهجة قريته.**"[5] ، هذا التّعدّد في اللّهجات يضفي على الرّواية جماليّة وطابعا خاصّا بها .

---

[1]- الرواية ص 143.

[2]- الرواية ص 51.

[3]- الرواية ص 14.

[4]- الرواية ص 43.

[5]- الرواية ص 216.

نجد أيضا بعض العبارات بالعاميّة ، منها ما ذكرها كما هي ومنها ما حاول تفصيحها، يظهر هذا في قوله: " **– تسقط على راسك إن شاء الله ، المصيبة...**"[1]، و عبارة :

" **– لا ، هذا 'الدورو ' سقط مني** ."[2]؛ فكلمة "الدورو " لا وجود لها في اللّغة العربيّة الفصحى ، وإنّما هي من مخلّفات الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، ويقصد بها مبلغ معيّن من المال القليل . وأيضا : " **كنت عندها المغبونة** ... " [3] ، كلمة دارجة وتحمل معنى الخيبة وتدلّ على التّي لا حظّ لها ، وتفتقر لأبسط ضروريّات الحياة . وعبارة :" **آه، يا يمة الحنانة...**"[4] ، تدلّ كلمة "آه" عن الحسرة ، وتحمل الجملة معنى الاستنجاد ، نقولها ربمّا لأنّ الأمّ أحنّ و أقرب مخلوق على وجه الأرض من أبنائها.. إلخ وغيرها من العبارات الكثيرة التّي لا يسعنا ذكرها جميعا.

ثانيا: تجليّات الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة في الرّواية:

ذكرنا سابقا بأنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة تدرس سلوك الأفراد وحياتهم بحكم انتمائهم إلى جماعة ما أو مجتمع معيّن استنادا إلى النّظم والعلاقات الاجتماعيّة التّي تنظّم حياة الإنسان. وفي رواية الزّلزال قدّم لنا الرّوائي صورة عن بعض الظّواهر الاجتماعيّة السّائدة في إحدى ولايات الشّرق الجزائري (قسنطينة) في فترة ما بعد الاستعمار، نذكر منها:

1.نظام القرابة:

من أهم الرّكائز التّي يرتكز عليها النّظام الاجتماعي، والقرابة " **رابطة يُعترف بها اجتماعيًّا ، تقوم على علاقة الدّم والنّسب بين الأمّ والأب و ذريّتهما وبين الإخوة والأخوات ، وقد تكون الرّابطة مفترضة كما هو الحال بين أفراد الجماعات القرابيّة الكبيرة ، مثل العشيرة والقبيلة .والقرابة أنواع**

[1]- الرواية ص 14.
[2]- الرواية ص 19.
[3]- الرواية ص 43.
[4]- الرواية ص 44.

منها (القرابة الأبويّة) و (القرابة الأميّة) و (قرابة الأهل)."[1] ؛ أي أنّها نظام مترابط مع الزّواج لأن العائلة والزّواج هما من يعطينا الأفراد الذين يتشكّل بفضلهم المجتمع، وتكون بالارتباط عبر روابط الدّم بين الإخوة مثلا ، أو المصاهرة عن طريق الزّواج . ويهتمّ الأنثروبولوجيّون بدراسة هذا النّظام لفهم أنساق القرابة التّي تتواجد داخل المجتمع الواحد (الأم والأب، الإخوة ، الأعمام والأخوال...) . وقد ذكر (**الطّاهر وطّار**) في هذه الرّواية مجموعة من الأفراد الذين تربطهم علاقة بالبطل " **عبد المجيد بوالارواح** " وهو أحد أكبر ملّاك الأراضي، إذ أنّ الغاية من رحلة بحثه في مدينة قسنطينة هي إيجاد أقربائه وورثته ليقسّم أرضه عليهم شرط أن لا يحوزوها إلا بعد وفاته، علما أنه لم تربطه أيّة علاقة بهم من قبل ، حتى أنّه لم يرهم منذ العديد من السّنوات، فخوفه من انتزاع الدّولة لأراضيه جعله يخوض رحلة البحث هذه ، عله يجد وريثا من ورثته ، ذلك لأنه عقيم لا ينجب الأولاد.ومن بين الأشخاص الذين ربطتهم علاقة مع الشّيخ " **عبد المجيد بوالارواح** " نذكر زوجته عائشة، التّي تزوّجها وهو صغير في السّن نجدها في قوله : " **تزوجّت قبل أن أذهب إلى تونس ، كنت في الخامسة عشر وكانت في التّاسعة...**"[2] رغم أن هذه العلاقة لم تُثمر والشيخ عبد المجيد لم يرزق بأولاد من صلبه إلا أن زوجته تركت في نفسه أثرا بليغا بعد وفاتها ، : " **بكيتها كثيرا ، لم أتعلق بها كزوجة ، لم أكن أفقه كثيرا معنى الزوجية ، ... كانت تنام إلى جنبي ، وتغطيني ، وتلاعبني، وتبكي والديها.**"[3] ، هذه العلاقة الزّوجيّة يطلق عليها قرابة المصاهرة ، إلى جانب زوجته نجد ابن أخيه الطّاهر بو الأرواح الذي ظلّ يبحث عنه لكنه لم يجده : " ... **حتى اللعين ابن أخي أسجله في القائمة. الطاهر ما إن مات أبوه حتى تشرد...**"[4] ، وفي قوله : " **الاتكال على سيدي راشد ، وعلى الطاهر بو الأرواح ابن أخي.**"[5] ؛ إن علاقة عبد المجيد بالطّاهر بو الأرواح هي علاقة غير مباشرة ؛ أي لهما أصل واحد لكنهم لا يعتبران فرعا فيما بينهما يجتمعان بأصل واحد مشترك هو الجدّ فقط ، في حين العلاقة المباشرة هي الصّلة التّي تجمع الأصل بالفرع مثل علاقة الأب بابنه ، علاقة الأب مع الجدّ مثل علاقة بو الأرواح بأبيه وجده

---

[1]- زينة جسام محمد : أنثروبولوجيا القرابة ، مدخل مفاهيمي، الجامعة المستنصرية ، قسم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع ،2020، ص3.

[2]- الرواية ص 245.

[3]- الرواية ص 246.

[4]- الرواية ص 87.

[5]- الرواية ص 236.

يستحضرهما ليبين مدى قوّتهما، والمكانة التّي يحتلّونها في المجتمع، يقول : " **أبي ، الآغا بو الأرواح ، وجدي الباشا آغا بو الأرواح ، جدي فتح الباب لفرنسا ، وأبي أخضع العباد لفرنسا... كلنا نحمل وسام الشرف.**"[1]، إنّ هذه الرّوابط الأسريّة هي روابط بالدّم أو بالنّسب كما يطلق عليها قرابة النّسب، تعتبر من أفضل الرّوابط الجماعيّة التّي تحقّق للفرد مبدأ التّعاون، وبفضلها يضمن استمراريّته وبقاؤه .

تشكّل هذه العلاقات في مجملها الركيزة الأساسيّة لتشكّل أي مجتمع بدءا من العائلة ، مرورا بالقبائل ، وصولا إلى المجتمعات والدّول.

2- الزّواج:

هو الرّكيزة الأساسيّة لبناء الأسرة و استمرارها، و وسيلة لتعمير الأرض واستمرار الحياة، و تنظيم الجماعة وهو سنّة من سنن الله تعالى ،يقول سبحانه:" **وَمِنْ آياته أنْ خَلقَ لكُمْ منْ أَنْفُسكُم أزْواجًا لتَسْكُنوا إليْهَا وَجعَل بيْنَكُمْ مَودَّةً و رَحْمة،إنَّ في ذَلك لآياتٍ لقومٍ يتفَكَّرُونْ**"[2]، خلق الله عزّ وجل النّساء ليكونوا شقائق الرّجال، فلا يمكن لأحدهما أن يعيش دون الآخر، وبالزّواج القائم على المودّة والاحترام تُحقّق السّعادة والاستقرار بين الطّرفين.

و الزّواج ظاهرة اجتماعيّة وجزء من ثقافة الشّعوب عرفته المجتمعات منذ قديم الزّمان يتمّ بطرق مختلفة "**ففي بعض الجهات لابدّ للمجتمع من قصّة حب قبل الزّواج، بينما تحرّم مجتمعات أخرى الزّوجات عن مثل هذا الشّعور ويعتبر ذلك خارجا عن الآداب والتّقاليد، في هذه المجتمعات الأخيرة يعتقد النّاس أنّ الزّواج يكون ناجحا إذا كانت لدى الزّوج القدرة على الإنفاق على زوجته، وإذا كانت الزّوجة قادرة على رعاية البيت، و إذا كان الاثنان قادرين على إنجاب الأطفال ورعايتهم**"[3]، فالسّائد عند القدماء هو أنّ اختيار الزّوجة يكون على عاتق والد الزّوج كونه كبير العائلة،

[1]- الرواية ص 249.

[2]- سورة الروم، الآية 21.

[3]-مهدي محمد القصاص: علم الاجتماع العائلي ، المنصورة، مصر،(د.ط)،2008،ص97.

وذو خبرة في الحياة، وتكون عمليّة اختيار الزّوجة وفق معايير وشروط أهمّها: السّمعة والتّربية والنّسب والجاه، و أن تتقن أعمال المنزل.

يمكن القول باختصار بأنّ الزّواج في كل مجتمع " **هو عبارة عن مجموعة من الأنماط الثّقافيّة لإقرار الأبوّة وتهيئة الأساس المستقر للعناية بالأطفال و تربيتهم. فالزّواج هو بالفعل الوسيلة الثّقافيّة الأساسيّة لضمان استمرار الأسرة والجماعات الأخرى القائمة على القرابة**"[1]، وهذا ما نلمسه في الرّواية من خلال قوله:" **سي عبد القادر ابن عمك متزوج وله أطفال**"[2]، "**لقد تزوّجت صغيرا ، في الخامسة من عمري تزوّجت**"[3]،" **فتاة في العاشرة تقف في الباب مستاكة مكتحلة ، بيضاء، تحدّق إليه في وقاحة.. المرحومة عائشة، زوجتي الأولى، كانت في سنّها، كانت تشبهها**"[4]، ويقول في موضع آخر:"**تزوّجت قبل أن أذهب إلى تونس، كنت في الخامسة عشرة، وكانت في التّاسعة**"[5]، ففي القديم كان الزّواج في سنّ مبكّرة منتشر بكثرة فنجده "**يتراوح بين الثّالثة عشرة إلى الثّامنة عشر بالنّسبة للفتاة، وبين الثّامنة عشرة والعشرين بالنّسبة للفتى. ولكن بعد انتشار التّعليم أصبح سنّ زواج الفتاة يتراوح بين السّادسة عشرة والثّالثة والعشرين ، وللفتى بين العشرين والثّلاثين**"[6] وفي مقطع آخر يذكر الزّواج فيقول: " **أنا صهره! تزوّج ابنتي بعد أن عاد من الجبل.** "[7]،"**أمي تزوّجت مع فحّام،أمسكه حرّاس الغابة يشعل الحطب فأدخلوه السّجن ولم يدعوه يرجع..**"[8] و في موضع آخر يقول:" **سأتزوّج بامرأة ثانية، بفتاة صغيرة. بل، قد أقصد بُنيّة**

---

[1]- محمد الجوهري و علياء شكري: مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا،(د.ن)، القاهرة 2007، (د.ط)، ص 92.

[2]- الرواية، ص225.

[3]- الرواية، ص 113.

[4]-الرواية، ص173.

[5]- الرواية، ص245.

[6]- سعاد علي شعبان: الانثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا، قسم التصوير بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم الأنثروبولوجيا، جامعة القاهرة، مصر، 2004م، ص317.

[7]- الرواية، ص 142.

[8]- الرواية، ص 83.

الباب المستاكة المكتحلة بالذّات"[1]، والزّواج يتضمّن مجموعة عادات وتقاليد تختلف من بلد لآخر ومن منطقة لأخرى ففي الجزائر مثلا يحضر أهل العريس لطلب يد الفتاة من أبيها، والتّفاهم على المهر، وبعدها بأيام يكون عقد القران الشّرعي(الفاتحة)والمدني ، استحضر الرّوائي ذلك في قوله" **عدت إلى قسنطينة ومعي البنت، كانت في سن عائشة، قرأت الفاتحة** "[2]، وهناك أيضا يوم الحنة ويقوم به أهل العروس، وبعدها يوم الزّفاف و يكون على العريس. تبدأ الاحتفالات قبل يومين أو ثلاثة من حفل الزّفاف، ويختلف اللّباس في الجزائر من مدينة لأخرى ففي العاصمة تلبس العروس الكراكو و عند الشّاوية تخرج العروس بالبرنوس والعريس كذلك، وفي الولايات الأخرى تلبس فستان زفاف أبيض كعلامة على النّقاء. وبعد الزّفاف يقيمون حفلا صغيرا في الصّباح يسمّى صباح العروسة تليها مراسيم (السبوع).

ويُعتبر الزّواج ذو أهميّة بالغة منذ القديم، مهما تنوّعت الطّقوس والعادات التّي تشكّل جزء من ثقافة الشّعوب يبقى أساسا ينبني عليه النّظام الاجتماعي، وتعبيرا عن هويّة الأفراد .

ثالثا: المُعتقدات الشّعبيَّة:

تُعرف المعتقدات الشّعبيّة على أنّها:" **تفكير اعتقادي لجماعة قد تكون أقليّة أو كُثرة تعيش في مجتمع واحد أو تمتدّ جُغرافيّتُه شساعةً** "[3] وترتبط بطرق تفكير و عيش الإنسان، وتصوّراته حول الوجود الإنساني. ويقصد بها أيضا" **تلك التّصورات و الأفكار والمعارف التّي أنتجتها المخيّلة الشّعبيّة والتّي لها صلة بالجانب الرّوحي من حياة الإنسان** "[4]، أمّا المعتقدات من وجهة التّحليل

[1]- الرواية،ص 187.

[2]- الرواية، ص 257.

[3]- بشير بهادي: جماليات الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية(قراءة في رواية تنزروفت بحثا عن الظل لعبد القادر ضيف الله)، مجلة اشكاليات، معهد الآداب واللغات الجامعي لتمنراست، الجزائر، العدد11، ص 37.

[4]- كاملي بلحاج: أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربيةالمعاصرة، قراءة في المكونات والاصول، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، د.ط 2004م، ص 119.

الأنثروبولوجي فهي " **عبارة عن بقايا أساطير اندثرت وبقي أثرها مستمرّا عبر العصور نتيجة تمسّك الإنسان بها خوفا من المكروه وطمعا في جلب الرّزق والخير ، كما أنّها قد تكون بقايا وثنيّة وطوطميّة* لها علاقة بمستوى الطّبقات التّي تؤمن بها**"[1] وتمثّل في:"**المعتقدات الدّينيّة الشّعبيّة، والمعتقدات بالجنّ والأرواح، والمعتقدات حول قوى الطّبيعة، والمعارف الطبيّة الشّعبيّة وغير ذلك من المعارف والمعتقدات الشّعبيّة**"[2]، التّي تضبط سلوك الفرد ونظام حياته والتيّ تساعده في طرد أيّ مشكل يحوم حوله باستحضار أحدها.

وتعتبر رواية (الزّلزال) للطّاهر وطّار كنزًا تراثيًّا، و فنّيًا حملت في طيّاتها الكثير من المعتقدات الشّعبيّة نذكر منها على سبيل المثال:

أ- التبرّك بالأولياء الصَّالحين و زيارة الأضرحة :

تُعدّ ظاهرة زيارة الأضرحة، والتَّبرك بالأولياء الصَّالحين ظاهرة لها جذورها التّاريخية المترسّخة في الذَّاكرة الجماعيّة،حيث كان الإنسان البدائي يُؤمن بوجود قِوَى عليا مسيطرة أقوى منه بكثير،وقد ظنّ أنّه بتقديم القرابين والذّبائح لها سينال رضاها وعطفها فتُبعد عنه الشر، وتجلب له الحظّ السّعيد.

يتمتَّع الأولياء بمكانة عالية في قلوب النّاس و ذلك لإيمانهم بأنّهم يملكون قدرات و كرامات تساعدهم على الشّفاء و جلب الرّزق والبركة، ونزول المطر. والأولياء في المعتقد الشّعبي "**هم رجال الله الصّالحون يتميّزون بالفلاح والتّقوى عن سائر النّاس،و لهم القدرة على قضاء المصالح وشفاء المرضى لما خصّهم الله به من كرامات، و يعتقد النّاس فيهم أنّهم حماة هذا العالم من نوائب**

---

* طوطمية: هي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس، والطوطم مصطلح نفسي أنثروبولوجي يطلق للدلالة على شيء قد يكون نبات أو حيوان يكون محل تقديس من العائلة أو العشيرة البدائية، اعتقادا منها بوجود رابطة روحية خفية تربطها بالمقدس الحيواني أو النباتي، وقد استثمره "سيغموند فرويد"لتطبيق معطيات التحليل السيكولوجي. لمزيد من المعارف والمعلومات يمكن الاطلاع على الكتاب: سيغموند فرويد، الطوطم والتابو، تر: بو علي ياسين، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، ط1، 1983م.

[1]- المرجع نفسه، ص119.

[2]-شريف كنعانة : دراسات في الثقافة والتراث والهوية، مؤسسة نادية للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع، رام الله فلسطين، د ط، 2011م، ص219.

الدّهر و دفع الضّرر عن قراهم و مُدنهم ،كلّ مدينة كبيرة أو صغيرة محروسة بوليّ من الأولياء فهو الذي يحميها من الغارات و من نكبات الطّبيعة و من طمع الطّامعين"[1]، وقد انتشرت هذه الظّاهرة في بلاد المغرب العربي عامّة و في الجزائر خاصّة، حيث يوجد في كلّ منطقة ضريح.

وقد وظّف (الطّاهر وطّار) في روايته (الزّلزال) بعض المعتقدات الشّعبيّة المتعلّقة بالأولياء الصّالحين، ويظهر ذلك جليّا في الحوار الذي دار بين العامل مقطوع الذّراع و عيسى بو الأرواح الذي تحوّل إلى نقابي مقدّم زاوية ،حيث يقول له العامل:"**أنت يا سيّدي ولي الله وسيّد الجهاد. خبّأت السّلاح هنا. مررت الفدائيّين والمسلمين. خرجت بنفسك إلى الجبل وكافحت**"[2]،" وفي مقطع آخر ينادي بو الأرواح :" **يا سيدي راشد، يا ولي الله** "،" **يا سيدي راشد يا ولي الله لم أعثر على أحد منهم**"[3]، "**بين قدمي الجسر.تحت أقواسه الضّخمة، وبعد محل تنظيف العاهرات يختبئ سيدي راشد: هكذا انزوى.لابد أنه كان في يوم من الأيام، يحتل قمّة، ثم انحدر شيئا فشيئا حتى استقرّت به الأرض. لا يجوز أن يرضى ولي من أولياء الله، بالإقامة في العالم السّفلي**"[4]في هذه المقاطع تتبيّن لنا المكانة العالية والقيمة الكبيرة للأولياء، ومدى إيمان النّاس بهم.

وفي مقطع آخر يقول الشّيخ بو الأرواح:"**لأُصلّ ركعتين في ضريح سيدي راشد..واقتحم الباب الأخضر: حوش كبير مفروش بالاسمنت. في نهايته على يسار الدّاخل، المسجد، يليه باب يبدو أنه يُفضي إلى سكن**"[5]، ويقول أيضا:"**المنبر المتواضع على اليسار، الضّريح على اليمين. الزرابي الاصطناعيّة تغطي السّقف والجدران والأرضيّة، ثريات النّحاس. وحيدة النّور، ملصقة هنا وهناك دون أن تتّصل بالكهرباء،..بعض شمعات قرب الضّريح المغطى بخرقة خضراء بالية**"[6] في هذين

[1]- نصيرة قشيوش، نعيمة رحماني: عادات زيارة الأضرحة و الأولياء، جامعة تلمسان، ص 1.
[2]- الطاهر وطار: رواية الزلزال ،ص 164.
[3]- الرواية، ص 185.
[4]- الرواية، ص 179.
[5]- الرواية، ص181 .
[6]- الرواية، ص 183.

المقطعين وصف لنا الرّوائي الطّاهر وطّار ضريح سيدي راشد بدقّة مطنبة، و ذكر الخرقة الخضراء، والملفت للانتباه أنّ اللّون الأخضر موجود بكثرة على الأضرحة وهو رمز صوفيّ قديم يرمز إلى الهدوء والرّاحة والخصب والشّفاء ، كما استحضر الضّريح في مقطع آخر من الرّواية حيث يقول:" **لم يبق في قسنطينة سوى المساجد والزّوايا والأضرحة والحمّامات و أفران الأدمغة المشويّة**"[1]، " **ثمّ أنزلُ حتى ضريح سيدي راشد أحيّيه بركعتين**"[2].

ويعتبر الولي رمز التّقوى والصّلاح، والضّريح مكان البركة، له هيبة مستمدّة من مقام ومكانة المدفون داخله بغضّ النّظر عن شكل وحجم المكان، وهو حجر أساس في حياة الأفراد منذ القديم ومرتكز التديّن عندهم.

ب- السّحر والشّعوذة :

تعتبر ظاهرة السّحر والشّعوذة من الظّواهر الاجتماعيّة الملازمة للإنسان على مرّ العصور، كان منتشراً في القديم بكثرة ولا يزال إلى يومنا هذا محطّ اهتمام الكثيرين، ويلعب السّحر دوراً خطيرًا في فساد المجتمعات، وتشكيل معتقدات الأفراد . ويعتبر السّحر" **قوّة غيبيّة تتمُّ استثارتها بكلام للتّأثير المضرّ وغير الطّبيعي على نفس الإنسان أو أعضاء جسده. أمّا في المصطلح الشّرعي، فهو تلاوات أو كتابات أو نَفْث بكلام مخصوص فيه كفر أو استعانة بالشّيطان بغرض إيذاء المؤمن في دينه ودنياه**"[3]. و يعتمد المشعوذون والسّحرة على طرق كثيرة لأداء طقوسهم السّحريّة، وعلى مواد وعقاقير تساعدهم في تنفيذ عملهم ، ويستعين في ذلك على أغراض الشّخص المراد سحره من لباس و شَعر وصور ،و يقوم السّاحر أيضًا بصنع تمائم عبارة عن قطعة قماش من الجلد فيها ورق مكتوب عليه رموز، وأشكال غير مفهومة بالإضافة إلى إلقاء تعويذة عبارة عن تضرّعات وتوسُّلات للشّياطين ، وهناك من يستعين بالورق لتنفيذ سحره بالكتابة عليه برموز و رسوم مبهمة.

---

[1]-الرواية، ص 290.

[2]- الرواية، ص 133.

[3]- جمال حسين عبد الفتاح: مدخل شرعي إلى فهم السحر والعين ومس الشياطين، ط1، سنة 2019، ص 5.

نجد الطّاهر وطّار في الرّواية قد استحضر هذه الظّاهرة حين وصف مشعوذاً جزائريًّا زمن السبعينات فيقول:" **و إلى جواره بقليل كهل في زيّ مغربي، يرسم على رمل في منديل خطوطا و دوائر، ويخاطب ريفيا في مقتبل العمر:– إنها خضراء. أمامك خضراء و خلفك خضراء.يقوم بينك وبين حظك ثعبان ذو سبعة رؤوس. وتجري خلفك تابعة يهودية..السّفر الذي تنويه أجله. فستخضرّ حولك، لا ترحل من مكانك،فستأتيك ورقة حكومية، تفرح قلبك.**"[1] من خلال هذا المقطع نرى أنّ المشعوذ يقرأ الأقدار، و يتنبّأ بالمستقبل و يدّعي أنّه يستطيع تغييرها، والمشعوذ عندهم يرتدي بُرنسًا مميّزا يرمز إلى الاحتراف، و يمارس طقوسه السّحريّة أمام الملأ دون خوف، وقد احتذى الجزائريّون بالمشعوذين المغاربة بلبس الزّي نفسه غير أنّهم يمارسون طقوسهم في نوع من التّستر والكتمان. وورد أيضا:"**تأمّل صاحب الدّعوة المتردّدة، فألفاه شيخا بلحية كثّة و نظّارات صغيرة شفّافة، وعراقيّة بيضاء متّسخة على رأسه، وقميص ممزّق مرقّع على صدره، وسروال حوكيٌّ في عجزه، وبلغة مهترئة قديمة**"[2].و في موضع آخر يقول:"**حاول السّحرة أن يحتلّوه فلم يلبثوا فيه سوى أقلّ من أسبوع..**"[3]

إنَّ ظاهرة السّحر والشّعوذة حظيت باهتمام كبير من قبل علماء الأنثروبولوجيا ، فهي ظاهرة اجتماعيّة عرفتها جميع الشّعوب والمجتمعات، كانت منتشرة في القديم ولا تزال إلى يومنا هذا.

ج– الرّقم سبعة:

يتمتّع الرّقم سبعة بمكانة خاصّة في التّراث العربي الإسلامي ، وعند الكثير من الأمم والشُّعوب ، حيث أعطوه مدلولا خاصًّا يوحي بالقداسة ، فجاءت فاتحة الكتاب بسبع آيات وقيل لها السّبع المثاني ، كما أن عبارة الشّهادة مكوّنة من سبع كلمات . كما يشمل أيضا حيّزا كبيرا في الكون والحياة والطبيعة ، وله حضوره في حياة الإنسان ، التي تكاد لا تخلو منه ؛ بدءا من أيّام الأسبوع ، مثّل لها الرّوائي بقوله: "**.. بعد سبعة أيّام ماتت أمّي .. بعد سبعة أيّام أخرى هربت زوجة أبي الثّانية. بعد سبعة أيّام**

[1]– الرواية، ص 194.
[2]– الرواية ، ص25،26 .
[3]– الرواية، ص 118.

أخرى، دفنت زوجة أبي الثّالثة."[1] ، وألوان الطّيف سبعة ، وسنن التّكليف الذي أمرنا فيه الله عز وجل بواجبات عديدة كالصّلاة مثلا ،... إلخ.

بُنيت الرّواية معماريًّا على العدد سبعة، حيث تتوزّع على سبعة فصول، فكان منها عدد الجسور في مدينة قسنطينة ، التي " **بُنِيَت على صخرة كبيرة من الكلس الصَّلب ، يشقُّها واد سحيق** "[2]، ساكنة وكأنّها تتحدّى عوامل التّغيير، أقيمت فيها هذه الجسور لتسهيل عمليّة التّنقل ، بعضها تحطّم لانعدام التّرميم ، وبعضها مازال يصارع الزّمن ، ذكرها الرّوائي في نصّه : **جسر باب القنطرة** عبر عنه بقوله : " **هذا الجسر أفضل جسور قسنطينة السّبعة. سريع وقصير...**"[3] ، **سيدي مسيد** أشار له في قوله : " **عند الأسفل تماما ، يبرز لسان من الجبل ، يتخطى الوادي، هو جسر سيدي مسيد.**"[4] ، **سيدي راشد** نجده في قول الرّوائي : " **في الأقصى يبدو جزء من جسر سيدي راشد...**"[5] بالإضافة إلى جسر :**مجاز الغنم ، وجسر المصعد ، وجسر الشّياطين ، وجسر الهواء.** وهذه إشارة واضحة إلى المكانة الكبيرة التّي اختصّت بها الجسور في هذا النّص الرّوائي ، إذ تُشكّل المجال الذي ينتقل عبره الشّيخ بو الأرواح بين أحياء المدينة وشوارعها من جهة ، ومن جهة أخرى هي رمز للحالة النّفسيّة التّي أصبح يعيشها ؛ إذ يشعر باستمرار أنّه معلّق بين الرّجاء واليأس ، ويسيطر عليه الشّعور بالاختناق والانزعاج يظهر هذا في قول الرّاوي : " **شعر بالاختناق .. الصّدر يثقل. المادّة السّائلة تسري متذاوبة شيئا فشيئا.**"[6]، هذا الوضع يجعله أكثر إحساسا بأخطار الزّلزال ، إذ يبدو له مثلا أن جسر مجاز الغنم يعد : "**أصدق الجسور على الإطلاق . إنه يومئ إلى إحساس القسنطينيّين الدّائم بأنه**

---

[1]- الرواية، ص 253.

[2]- قسنطينة : مدن ومناطق / الجزيرة نت. موقع : https://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions/2014/12/3 . تاريخ الاطلاع : 23 / 05/ 2022.

[3]- الرواية ص 6.

[4]-الرواية ص 55.

[5]- الرواية ص 176.

[6]-الرواية ص 94.

محكوم عليهم بفناء عاجل "[1] ؛ وهو إسقاطٌ نفسيٌّ لما يجول بداخله من مخاوف، واتّسمت شخصيّته بصفة الاهتزاز وعدم الثّبات تمامًا كالجسور المعلّقة، التّي تربط بين شقّي المدينة ، تتأرجح في الهواء، وهذه رمزيّة كبيرة في ربط ماضي المدينة –القابعة فوق صخرة– الثّابت في مخيّلة الشّخصيّة ، وبين الحاضر المتحرّك الآتي من الطّرف الآخر.

و عند الحديث عن هذا العدد تجدر بنا الإشارة إلى لقب الشّخصية البطلة في الرّواية،فبو الأرواح تحمل في مدلولاتها رمز الأرواح ، فقد اقترف جرائم قتل عديدة، كما أنّه نجا من محاولة الانتحار لأنّه لا يريد الموت بسهولة، وكأنّه يملك أرواحًا متعدّدة ، فهذا المصطلح يطلق على الشّخص الذي يملك قدرات خارقة للنّجاة بنفسه من أمور كثيرة يتعرّض لها ، وهذا الاسم مستوحى من المثل الشّعبي القائل : " **القطّة بسبعة أرواح** ."؛ لأنّها قادرة على النّجاة من الحوادث المختلفة، لخفّة مرونتها ، حيث تسقط على أطرافها الأربعة من علوّ دون أن تصاب بخدش أو أذى.

[1]– الرواية ص 229.

خلاصة الفصل:

في نهاية هذا الفصل لا يسعنا القول إلّا أنّ "**الطّاهر وطّار** "وُفِّق في توظيفه مكونّات الأنثروبولوجيا في هذا العمل الرّوائي،. إذ أحسن توظيف تلك المكوّنات ، وكان للأنثروبولوجيا دور فعّال في إثراء فنّ الرّواية ، وبخاصّة الثّقافيّة منها والاجتماعيّة لأنّ لهما آليات، وقوانين تنظّم ذاتها قصد دراسة الإنسان وما يتعلّق به، ممّا يضفي جماليّة خاصّة على الرّواية.

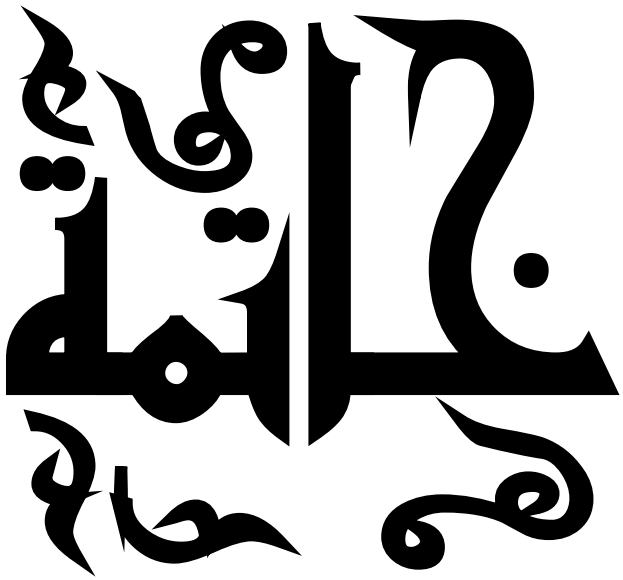

خاتمة

بعد القيام بهذه المقاربة الأنثروبولوجيّة لرواية (الزّلزال) للطّاهر وطّار توصّلنا إلى جملة من النّقاط ، والتّي يمكن حصرها في ما يلي :

- ✓ يمارس عنوان رواية الزّلزال خرقًا دلاليًّا يثير حيرة وفضول القارئ، و التّي تدفعه لكشف أغوار النّص الذي هو بمثابة شرح للعنوان وليس العكس.
- ✓ الزّلزال هو تصوير لمعاناة الشّعب حين أخذ بو الأرواح يتذكّر كيف كانت مدينة قسنطينة وكيف أصبحت بتزايد عدد سكّانها.
- ✓ الرّواية غنيّة بالمظاهر الثّقافيّة والاجتماعيّة، هي بمثابة سجل تنقل لنا جزء من ثقافات الشّعوب المختلفة.
- ✓ تناولت الرّواية ظاهرة النُّزوح الرّيفي و النُّمو الدِّيمغرافي في فترة مابين الاستعمار والاستقلال وما نتج عنها من مظاهر الفقر والبطالة ...وغيرها في حياة المجتمع الجزائري عامّة والقسنطيني خاصّة.
- ✓ لهذه الرّواية شخصيّة طاغية بحضورها متشبّثة بالدّين وهي شخصيّة عبد المجيد بو الأرواح إلاّ أنّ سلوكه يتنافى مع ما يدّعيه فهو في كامل الرّواية يسبّ ويشتم الطّبقة الفقيرة ويحقد عليهم.
- ✓ دقّة تصوير الرّوائي الطّاهر وطّار واقع الحياة القسنطينيّة، وطريقة عيش الإنسان في تلك الفترة بالإضافة إلى وصفه للأحياء والشّوارع وصفًا دقيقًا.
- ✓ عبد المجيد بو الأرواح يمثّل الشّخصيّة البرجوازيّة الإقطاعيّة الرّافضة لقانون الثّورة الزّراعيّة.
- ✓ ما يميّز الرّوائي "الطّاهر وطّار" فلسفته العميقة و أسلوبه البسيط الذي يؤول إلى اللّهجة الجزائريّة، ووصفه الدّقيق المطنب في روايته.
- ✓ عالجت الرّواية بعض الظّواهر الثّقافيّة والاجتماعيّة من عادات وتقاليد ومعتقدات شعبيّة كالتّبرك بالأولياء الصّالحين والسّحر، وأشكال التّعبير الشّعبي كالأمثال.. وغيرها.

خاتمة

- ✓ تعبّر الرّواية عن خيبة أمل الشّعب الجزائري بحكومته التّي وعدتهم بحياة كريمة، والتّي وقفت بدورها عاجزة أمام تصوّرات وتأمّلات شعبها.

وفي ختام هذا البحث نأمل أن نكون قد وُفّقنا فيه وأعطينا الموضوع حقّه من التّحليل والبحث ولو بجزء بسيط، و أنّ رواية الزّلزال للطّاهر وطّار تستحقُّ بحقّ لقب الرّواية الفنيّة وتندرج ضمن قائمة الأعمال الإبداعيّة المميّزة لما حقّقته من جماليّات .

ملحق

أولا : ملخص رواية الزّلزال :

تدور أحداث الرّواية في إحدى ولايات الشّرق الجزائري(قسنطينة)، أو كما هي معروفة بولاية الجسور المعلّقة نسبة لكثرة الجسور الشّاهقة المسمّات : باب القنطرة، سيدي مسيد، سيدي راشد، مجاز الغنم، جسر المصعد، جسر الشّياطين، جسر الهواء.

تصف رواية الزّلزال حقبة ما بعد الاستقلال، و تحكي قصّة أحد ملاّك الأراضي الكبار المتشبّعين بالأفكار الإقطاعيّة الشّيخ عبد المجيد بو الأرواح الشّخصيّة المتوحّشة النّاقمة على الوضع المستجد المؤازر للطّبقة الشّغيلة و الفلاّحين النّازحين إلى المدينة هروبا من الفقر المدقع الذي كانت له مواقف قاسية في الرّواية مع المتسوّلين، وماسحي الأحذية حتّى كبار النّاس لم يسلموا من سخطه، وشتمه المستمر.

سافر بو الأرواح من العاصمة إلى قسنطينة بحثا عن أقاربه الذين انقطعت بينهم الصّلة منذ وقت طويل ،و سبب بحثه عنهم ليس حُبًّا فيهم أو حنيناً لمسقط رأسه ، و إنّما لأداء مهمّة في غاية الأهميّة والخطورة وهي محاولة إنقاذ أراضيه التّي شملها قرار التّأميم ، وذلك بتقسيم أرضه على الورثة الذين لم تربطه وإيّاهم أيّة علاقة ودّ ووئام ، و هذا حتّى يقطع الطّريق بين الحكومة و بين أراضيه ،و كان يظنُّ أنّه قد سبق الدّولة، ويستطيع أن يمرّر عليها فكرته، لكنّه وصل متأخّرا فقانون الإصلاح الزّراعي انتشر بين النّاس، وتمكّن من نفوسهم حين أدركوا صلاحيّته ومنفعته للجماهير الرّيفيّة ،و أيضا بحثه الطّويل عن أقاربه باء بالفشل ذلك أنّه لم يعثر عليهم كلّهم، حتّى الذين وجدهم لم يعودوا كما تركهم تغيّروا جميعهم بفعل الحرب التّحريريّة التّي خاضوا غمارها،هنا خاب أمل الشّيخ في أرضه، وفي قسنطينة التّي تولّى أمرها الرّعاع، وهكذا تحوّل البحث إلى شبه مواجهة بينه، وبين المدينة التّي أصبحت تشعره بالقرف . وفي النّهاية ينهار عبد المجيد بو الأرواح بـ (جسر الهواء) حيث احتدم الصّراع داخل نفس هذا الشّيخ

الإقطاعي، واشتدَّ حتّى أصابته لوثة في رشده فبات يفكّر في الانتحار.لولا تدخّل الشّرطة في اللّحظة الأخيرة و إنقاذه من الموت.

بدا عبد المجيد بو الأرواح عنيفا منذ أن وطأت قدماه أرض قسنطينة بسبب التّغيّرات التّي طرأت عليها، والّتي لم يألفها، ولم يقو على التّأقلم معها ، فقسنطينة كانت مدينة زراعيّة محافظة، وعاصمة للثّقافة الإسلاميّة، مدينة عريقة تناسب منبته الطّبقي والاجتماعي، وهادئة، ونظيفة، لكنّ الزّحف الرّيفي المذهل على المدينة أدَّى إلى تغيّر سلبي كبير ،و خطير في العادات والسّلوكيّات المدنيّة الحضريّة كما تسبّب أيضا في أزمات السّكن والغذاء والنّظافة والبطالة.

و بو الأرواح من بداية الرّواية إلى نهايتها يقارن بين ما كانت عليه المدينة زمن الاستعمار، وما هي عليه اليوم، كان يخالها بأنّها باقية على أيّام عزّها وزهوّها ورونقها لكنّ الواقع عكس ذلك فهي تغيّرت تغيّرا جذريًّا ممَّا أثّر ذلك في نفسيّة بو الأرواح، و أشعره بخيبة كبيرة.

و الرّواية تصف مدينة قسنطينة بدقّة كأنّها خريطة معماريّة، ودليل سياحي فهي تذكر شوارع المدينة، و أزقّتها، وجسورها، ومبانيها، و تصوّر الأحياء القسنطينيّة، و طريقة عيش أناسها بوصف مطنب، فعند قراءة الرّواية تشعر و كأنك وسط المدينة تشمُّ الرّوائح الشّائعة في الأحياء، وتتذوّق أكلهم وتعرف كلّ التّفاصيل، والاتّجاهات رغم أنّك لم تسافر إليها .

نلتمس في رواية **"الزّلزال" للطّاهر وطّار** حضورًا كثيفًا في مكوّنات الأنثروبولوجيا ، و الغرض من هذا التّوظيف هو توجّه كاتبها الإيديولوجي ، والتّعبير عن قضايا سياسيّة، واجتماعيّة بطريقة رمزيّة ، وسنحاول رصد ما يدلُّ عليها من خلال بعض العناصر.

أولا : نبذة عن حياة الرّوائي الجزائري "الطّاهر وطّار":

يعدّ الكاتب الجزائري الرّاحل الطّاهر وطّار مؤسّس الرّواية العربيّة في الجزائر،فقد فرضت أعماله حضورها القويّ سواء في الجزائر،أو في شتّى أقطار الوطن العربي،فالطّاهر وطّار هو الذي أوصل صوت الرّواية الجزائريّة إلى مختلف أصقاع الوطن العربي،وهو الذي عرّفهم بتحوّلات المجتمع الجزائري،والمتابع لأعماله الرّوائية،والقصصيّة،والمسرحيّة يُلاحظ أنها تقدم رصداً شاملاً لأهمّ التّحولات السّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة التّي شهدتها الجزائر مدّة ما يربو عن نصف قرن،وهذا ما جعلها تحظى باهتمام كبير من قبل النّقاد،والدّارسين،في الجزائر، وسائر دول المغرب العربي،وكذلك في المشرق،فأنجزت العديد من الدّراسات،والرّسائل الجامعية حول أدبه..."[1].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالملفت للنّظر أنّ كتابات الطّاهر وطّار سياسيّة بالدّرجة الأولى يعبّر فيها عن الواقعيّة الاشتراكيّة، و إشكاليّات الصّراع الحقيقي في المجتمع الجزائري.

1- حياته:

ولد الرّوائي الطّاهر وطّار في 15 أغسطس 1936 ، في سوق أهراس في بيئة ريفيّة وأسرة أمازيغيّة تنتمي إلى عرش «الحراكتة» الذي يتمركز في إقليم يمتدّ من «باتنة» غربا إلى «خنشلة» جنوبا إلى ما وراء «سدراتة» شمالا، وتتوسّطه مدينة «الحراكتة". ولدته أمّه بعد أن فقدت ثلاثة بطون قبله فكان الابن المدلّل للأسرة الكبيرة التي يشرف عليها الجد المتزوج بأربع نساء، وأنجبت كل واحدة منهن عدة أولاد، وبنات وكان هذا الجد أميًا لكنه كان يتمتع بمكانة اجتماعية بارزة، وكان يقصده كل عابر سبيل حيث يجد المأوى، والمأكل، وهو الكبير الذي يحتكم عنده الناس، وهو المعارض الدّائم لسلطة الاحتلال الفرنسي، كما فتح كتابًا لتعليم القرآن الكريم بالمجان. ويقول الطّاهر وطّار إنه ورث عن جدّه الكرم، والعزّة، وعن أبيه الزّهد، والقناعة، والتّواضع وعن أمّه الطّموح والحساسيّة المرهفة، وتنقّل الطّاهر مع أبيه

[1]- محمد سيف الإسلام بوفلاقة: خصائص البنية الروائية عند الطاهر وطار، موقع رأي اليوم،2018/5/1، تاريخ الاطلاع:2022/4/30، www.raialyoum.com .

بحكم وظيفته البسيطة في عدّة مناطق حتى استقرّ به المقام بقرية «مداوروش» التّي تبعد عن مسقط رأسه ب 20 كلم، وهناك اكتشف مجتمعا آخر غريبا في لباسه، وغريبًا في لسانه فاستغرق في التّأمل، والتحق بمدرسة جمعيّة العلماء التي فتحت في 1950، فكان من تلاميذها النّجباء، ثم أرسله أبوه إلى قسنطينة ليتفقّه في معهد الإمام عبد الحميد بن باديس. وفي 1952انتبه «وطار» إلى أن هناك ثقافة أخرى موازية للفقه ولعلوم الشريعة هي الأدب، وفي هذه الفترة قرأ جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وزكي مبارك، وطه حسين. تعلّم الصحافة والسينما في مطلع الخمسينات، سافر لتونس ودرس قليلا في جامع الزيتونة ، و في سنة 1956 انظم لجبهة التحرير الوطني ، و تعرف في سنة 1955 على أدب جديد هو أدب السّرد الملحمي ، و نشر القصص في جريدة الصّباح ، وجريدة العمل وفي أسبوعية لواء البرلمان التوّنسي ، و أسبوعيّة النداء و مجلة الفكر التونسية ، ثم اعتنق الفكر الماركسي ، عمل في الصحافة التّونسيّة ،لواء البرلمان التّونسي و النّداء التي شارك في تأسيسها ، و عمل في يومية الصباح ، و أسس في سنة 1962 أسبوعيّة الأحرار بمدينة قسنطينة كأول أسبوعية في الجزائر المستقلة ، ثم أسس في 1973 أسبوعيّة الشّعب الثّقافي التابعة لجريدة الشّعب ، أوقفتها السلطات في 1974 بعدما جعلتها منبرا للمثقفين اليساريين ،و في فترة من 1963 إلى 1984 عمل بحزب جبهة التّحرير الوطني عضوا في اللجنة الوطنية للإعلام ، ثم مراقبا وطنيا حتى أحيل للمعاش ،كما شغل منصب مدير عام للإذاعة الجزائرية في عام 1991 ، و عارض وطار سراً انقلاب 1965 حتى أواخر الثمانينات ،كما ساهم في عدة سيناريوهات لأفلام جزائرية ، وعن همه الإبداعي الأبرز قال وطار: " إن همه الأساسي هو الوصول إلى حدّ الأقصى الذي يمكن أن تبلغه البرجوازيّة في التّضحية بصفتها قائدة التّغيرات الكبرى في العالم"[1].

2- مؤلفاته:

ترك وطّار إرثاً أدبيًّا زاخرًا، وترجمت أعماله إلى أكثر من عشر لغات أهمّها الإنجليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة والرّوسيّة واليونانيّة و تنوّعت و تعدّدت كتاباته ، حيث نجد:

[1]- الحاج موسى شهيرة : الطاهر وطار أيقونة الأدب الجزائري ، يومية الاتحاد ،2013 /08 /18، تاريخ الاطلاع:www.djazairess.com elitihad.2022/4/30 .

ملحق

***المجموعات القصصية:**

أ . دخان من قلب تونس ، 1921 الجزائر (1979 . 2005)

ب . طعنات الجزائر (1974 .2005) .

ج . الشهداء يعودون هذا الأسبوع ، العراق 1974 ، الجزائر (1984 . 2005)

***المسرحيات:**

أ . على الضفة الأخرى (مجلة الفكر ، تونس أواخر الخمسينات)

ب . الهارب (مجلة الفكر ، تونس أواخر الخمسينات) ، الجزائر 1971 .2005

ج. الشهداء يعودون هذا الأسبوع.

***الروايات:**

أ . اللاز : الجزائر 1974، بيروت (1982 . 1983) الجزائر 1981 .2005 .

ب . الزلزال : بيروت 1974 ،الجزائر 2005 .

ج . الحوات و القصر: الجزائر ، جريدة الشعب 1974و على حساب المؤلف في 1978 القاهرة 1987

والجزائر 2005 .

د . عرس بغل:بيروت،عدة طبعات ابتداء من1983 القاهرة 1988،الجزائر في 1981 .2005

هـ . العشق و الموت في زمن الحراشي : بيروت (1982 . 1983)، الجزائر2005.

و.الشمعة والدهاليز (الجزائر 1995 و2005 القاهرة 1995الأردن 1996 ألمانيا دار الجمل2001).

ي. الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي (الجزائر 1999 و2005 المغرب 1999 ألمانيا دار الجمل 2001).

3.وفاته:

توفّي في 12 أغسطس 2010 ، وقد كان إنسانا عنيداً وصلباً، ومثقفاً ثورياً وعضويّا، تبنى توجها يساريا ومواقف وطنية وتقدمية راسخة، لم يكن يساريا متعصبا أو متطرفا إقصائيا، وتأثيره بالواقعية الاشتراكيّة والصّراع الطّبقي الذي اعتبره ملح أطروحاته لم يدفعاه بالضّرورة إلى تبني مواقف عدائيّة من الإسلاميّين خلافا لما فعله بعض الرّوائيين رفقاء دربه من اليساريّن الذين دافعوا عن توقيف المسار الدّيمقراطي ."[1]

[1]- الحاج موسى شهيرة : الطاهر وطار أيقونة الأدب الجزائري ، يومية الاتحاد ، 2013 /08 /18.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم، رواية ورش.**

1/ قائمة المصادر:

1-الطاهر وطار: رواية الزلزال، موقع للنشر ، الجزائر ،د.ط.2007.

2/ المعاجم والقواميس:

2-إبراهيم أنيس وآخرون: "المعجم الوسيط مادة ثقف" ، مكتبة الشروق الدولية، مصر ، ط4، 2004.

3-ابن منظور: لسان العرب، مجلد9 ، مادة (ثَ، قَ، فَ) ، دار الصادر، بيروت :لبنان، ط3،1994.

4-عبد الرحمان بن عبد العزيز المانع : معجم الكلمات الشعبية في نجد، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر ، الرياض- السعودية ، ط1 ، 1418 هجري .

3/ قائمة المراجع:

5- أزهري مصطفى صادق علي: مقدمة في الأنثروبولوجيا، جامعة الملك سعود،كلية السياحة والأثار،العدد 221،2013م.

6- أزهري مصطفى صادق: الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية "علم الإنسان الطبيعي والثقافي"، جامعة الملك سعود، 1943.

7- أليكس أنكر: مقدمة في علم الاجتماع، تر : محمد الجوهري و آخرون ، دار المعارف، القاهرة، ط6 ،1983.

8 -إبراهيم ناصر : الأنثروبولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي) ، دار الفكر، عمان- الأردن ، د.ط ،1985 .

9- إبراهيم الحجري : المتخيل الروائي العربي (الجسد، الهوية ، الآخر) مقارب سردية أنثروبولوجية ، محاكاة للنشر والتوزيع، سوريا، ط1 ، 2013.

10- أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني: مجمع الأمثال، دار الكتب العلمية، ط1 ج1، بيروت – لبنان ، 1988.

11- بشير بهادي: جماليات الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية(قراءة في رواية تنزروفت بحثا عن الظل لعبد القادر ضيف الله)، مجلة إشكاليات، معهد الآداب واللغات الجامعي لتمنراست، الجزائر، العدد11.

12- بيرتي ج بيلتو:دراسة الأنثروبولوجيا (المفهوم و النشأة)،تر: كاظم سعد الدين،بيت الحكمة ،العراق، ط1 ، 2010 م.

13- توماس هيلاند إريكسن، وفين سيفرت نيلسون: تاريخ الأنثروبولوجيا، تر: عبده الريّس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1 ، 2014.

14- جمال حسين عبد الفتاح: مدخل شرعي إلى فهم السحر والعين ومس الشياطين، ط1، سنة 2019.

15- حسين فهيم :قصة الأنثروبولوجيا ،سلسلة كتب ثقافية شهرية،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،دط،1978م.

16- خواجة عبد العزيز بن محمد: محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، غرداية: الجزائر، د.ط، 2014.

17- رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربي لأسماء الملابس ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1، 2002.

18- زكي محمد إسماعيل:الانثروبولوجيا والفكر الإسلامي، دار الزهراء، الرياض، ط2،2002. 19- سعاد علي شعبان: الانثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا، قسم التصوير بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم الأنثروبولوجيا، جامعة القاهرة، مصر، 2004م، ص65.

19- سمير إبراهيم حسن: الثقافة والمجتمع، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1، 2007.

20- شريف كنعانة : دراسات في الثقافة والتراث والهوية، مؤسسة نادية للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع، رام الله فلسطين، د ط، 2011م.

21- صورية مولوجي قروجي : ترجمة أنثروبولوجيا المغرب إلى العرب ، مجلة إشكالات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، معهد الترجمة، جامعة وهران 1 – الجزائر، 2018.

22- طارق محمد السويدان: وفيصل عمر بشراحيل: صناعة الثقافة، الإبداع الفكري، الكويت، ط3، 2011.

23- عبد الرحمان بن محمد التيجاني : الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983.

24- عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة (المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة)، مركز دراسات الوحدة العربي للنشر، بيروت، ط1، 2006.

25- عياد أبلال: أنثروبولوجيا الأدب"دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي"، القاهرة، روافد للنشر والتوزيع، 2011، ط1.

26- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) ،إتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،سوريا ،دط،2004.

27- غيبوب باية: الشخصية الأنثروبولوجية الفجائية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابرييل غارسيا ماركيز، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2012.

28- فوزي عبد الرحمان علي المكاوي: دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، (د.ط) ، 2007.

29- قباري محمد إسماعيل: أسس علم الإنسان : الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1980.

30- كاملي بلحاج: أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، قراءة في المكونات والاصول، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، د.ط 2004م.

31- مارك أوجيه وجان بوكولاين :الأنثروبولوجيا ،تر: د.جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، لبنان، ط1،2008.

32- ماهر شعبان الباري: التّذوق الأدبي"طبيعته، نظرياته، مقوّماته، معاييره، مقاييسه"، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2009.

33- محمد الجوهري و علياء شكري: مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا،(د.ن)، القاهرة 2007، (د.ط).

34- محمد الجوهري وعلياء شكري..وآخرون:الأنثروبولوجيا الاجتماعية، قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004.محمد رياض: "الإنسان"، دراسة في نوع الحضارة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (دط)، 2012.

35- محمد عبده محجوب: الاتجاه السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات، الكويت، دط.محمد عباس إبراهيم: الثقافة الشعبية "الثبات والتغير"، دار المعرفة الجامعية، قناة السويس، الإسكندرية: مصر،(د.ط) 2009.

36- مها محمد فوزي معاذ : الأنثروبولوجيا ودراسة اللغة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2004.

37- مهدي محمد القصاص: علم الاجتماع العائلي،(د.ن)،المنصورة، مصر،(د.ط)،2008.

38- نبيل الحسني، الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسن، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية ،كربلاء،العراق،ط1 ،2009.

39- نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الأنثروبولوجيا: (مدخل لدراسة الإنسان)، تحرير مصطفى عمر حمادة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2012.

40- نصيرة قشيوش، نعيمة رحماني: عادات زيارة الأضرحة و الأولياء، جامعة تلمسان.

هرودوت: هرودوت يتحدث عن مصر، تر: محمد صقر خفاجة، شرح: الدكتور أحمد بدوي، دار القلم، القاهرة، 1966.

41- يحي مرسي عيد بدر: أصول علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) ج2 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ط2، 2007.

42- يوسف قطامي وعبد الرحمان عدس: علم النفس العام، دار الفكر، عمان – الأردن ، ط1، 2002.

4/ الموسوعات:

43- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية، بيروت، لبنان، ط1،2003.

5/الرسائل الجامعية:

44-لبنى بوخناف: تجليات الأنثروبولوجيا في الخطاب الرّوائي لإبراهيم الكوني، مخطوط رسالة دكتوراه، إشراف: وردة معلم، قسم: اللّغة والأدب العربي، كلية: الآداب واللغات، جامعة 08ماي 1945قالمة، السنة الجامعية: 2019-2020.

6/المواقع الالكترونية :

45-آية وهيب: أكلات مصرية تاريخية أوشكت على الاختفاء، تاريخ الاطلاع:http:// www.fatafeat.com،2022/5/18

46-تعبير عن القهوة، تاريخ الاطلاع: 2022/5/18،/ https://islamkids.net .

47-جوسلين الدبس وماجد نعمة ونجاح طلعت وأمينة خيري:الخبز رغيف الحياة، تاريخ الاطلاع 2022/5/17 ، https://qafilah.com/ar.

48-الحاج موسى شهيرة : الطاهر وطار أيقونة الأدب الجزائري ، يومية الاتحاد ،2013 /08 /18، تاريخ الاطلاع:www.djazairess.com elitihad.2022/4/30 .

49- محمد سيف الإسلام بوفلاقة: خصائص البنية الروائية عند الطاهر وطار، موقع رأي اليوم،2018/5/1، تاريخ الاطلاع:2022/4/30، www.raialyoum.com .

50-ليث عبد الحسين العتابي: الأنثروبولوجيا الدينية، موقع أرنثروبوس،2016، تاريخ الإطّلاع:29/3/2022، https://www.aranthropos.com.

51-المصطلحات والمفاهيم الدينية والسياسية في الأنثروبولوجيا الأساسية، موقع عربي،2021، تاريخ الاطلاع: 6/3/2022، https://www.amp/s/e3arabi.com.

52-هند حجازي: عادات وتقاليد شرب وتقديم القهوة عند الشعوب، تاريخ النشر: 14 أكتوبر 2017، تاريخ الاطلاع :5/18/ https://www.sayidaty.net/nod 2022، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ،تاريخ الاطلاع: 2022/5/18 ، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D8%A8%D8%B2.

الفهرس

الفهرس

مقدمة..... أ

الفصل الأول: لمحة عامة حول الأنثروبولوجيا

أولا : مفهوم الأنثروبولوجيا : 04

1 - التعريف الاشتقاقي :(la définition étymologique):..... 04

2-التعريف الاصطلاحي:(définition terminologique): 04

ثانيا : نشأة الأنثروبولوجيا : 06

1- عند الإغريق القدماء:..... 06

2-عند الرّومان: 07

3-عند العرب القدامى:..... 08

ثالثا : أنواع الأنثروبولوجيا : 09

1-الأنثروبولوجيا الطبيعية :(physical anthropology) 09

أ. فرع الحفريات القديمة أو المستحاثات (paléontologie): 10

ب. فرع الأجناس البشرية (الأجسام البشرية stomatologie): 11

2 - الأنثروبولوجية الدينية :(Religious Anthropology): 11

3- الأنثروبولوجيا الإجتماعية :(Social Anthropology) 13

4-الأنثروبولوجيا الثقافية: 15

أ: مفهوم الثقافة: 15

ب: موضوعات الثقافة: 16

ج: أهمية الثقافة: 17

4-2/ مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية وفروعها:..... 18

الفهرس

أ: مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية:..... 18

ب: فروع الأنثروبولوجيا الثقافية: 19

أولا: الإثنولوجيا:ETHNOLOGY..... 19

ثانيا: الأركيولوجيا(ARCHAEOLOGY): (علم الآثار):..... 20

ثالثا: اللغويات: 20

5 – بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية: 21

6–الأنثروبولوجيا اللغوية:..... 22

رابعا: علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى:..... 24

أ: علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع: 24

ب– علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس: 25

ج: علاقة الأنثروبولوجيا بعلوم الطبيعة والحياة :..... 26

د: علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب: 26

هـ: علاقة الأنثروبولوجيا بالرواية: 29

الفصل الثاني: تجليات الأنثروبولوجيا في رواية "الزلزال" للطاهر وطار:

أولا: تجليات الأنثروبولوجيا الثقافية:..... 32

1: العادات والتقاليد: 32

1/أ: اللباس:..... 32

1/ب: الطعام:..... 35

1/ج : الأمثال:..... 41

2/ التعليم:..... 42

الفهرس

3/ ازدواجية اللغة: 46

ثانيا: تجليات الأنثروبولوجيا الاجتماعية في الرواية:..... 48

1.نظام القرابة:..... 48

2- الزواج:..... 50

ثالثا: المعتقدات الشعبية: 52

أ- التبرّك بالأولياء الصالحين و زيارة الأضرحة :..... 53

ب- السحر والشعوذة : 55

ج- الرقم سبعة:..... 56

خاتمة..... 60

ملحق..... 62

قائمة المصادر و المراجع 68

الفهرس..... **73**

ملخّص:

تناولت هذه الدّراسة البحث في المظاهر الأنثروبولوجيّة التّي تجلّت في رواية الزّلزال للطّاهر وطّار، من خلال إلقاء الضّوء على التّفاصيل المضمرة للمجتمع الجزائري، وقد استعنّا بالمنهج الأنثروبولوجي الذي يعتمد على الوصف و التّحليل حيث وصف الطّاهر وطّار في روايته مختلف المظاهر الحياتيّة، وخصوصيّة العادات والتّقاليد المنتشرة لدى المجتمع الجزائري.

تضمّنت الدراسة جانباً نظريًّا تطرّقنا من خلاله إلى : مفهوم الأنثروبولوجيا ، ونشأتها عند الإغريق القدامى ، وعند الرومان، وعند العرب ، و من ثمّ إلى أنواعها: الطّبيعيّة، والدّينيّة، والاجتماعيّة ، والثّقافيّة، واللّغويّة، بعد ذلك حاولنا رصد علاقتها بالعلوم الأخرى : علم الاجتماع، وعلم النّفس، وعلوم الطّبيعة والحياة، وسلّطنا الضّوء على علاقتها بالأدب عامّة ، وبالرّواية خاصّة .

وفي الجانب التّطبيقي استخرجنا الظّواهر الثّقافيّة والاجتماعيّة التّي تجسّدُ محور الدّراسة الأنثروبولوجيّة و المتعلّقة بالعادات والتّقاليد من لباس وطعام... والنّظم الاجتماعيّة من قرابة وزواج...

وختمنا الدّراسة بخاتمة على شكل نقاط جاءت حوصلة للنّتائج التّي توصّلنا إليها من خلال استخراجنا للتّمظهرات الأنثروبولوجيّة المتجلّية في رواية الزّلزال للطّاهر وطّار .

الكلمات المفتاحيّة: الأنثروبولوجيا الثّقافيّة ، الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة، الإقطاعيّة، الطّاهر وطّار، الزّلزال، قسنطينة.

Summary:

This study dealt with the research on the anthropological aspects that were manifested in the earthquake novel by Taher Watar, by shedding light on the implicit details of Algerian society. Algerian society.

The study included a theoretical aspect in which we touched upon: the concept of anthropology, and its origins among the ancient Greeks, Romans, and Arabs, and then to its types: natural, religious, social,

cultural and linguistic, after that we tried to monitor its relationship with other sciences: sociology, And psychology, and the sciences of nature and life, and we highlighted their relationship to literature in general, and to the novel in particular.

On the practical side, we extracted the cultural and social phenomena that embody the axis of anthropological study and those related to customs and traditions such as clothing and food... and social systems such as kinship and marriage...

We concluded the study with a conclusion in the form of points that summed up the results we reached through our extraction of the anthropological manifestations manifested in the earthquake novel by Al-Taher and Tar.

Keywords : Cultural anthropology, social anthropology, feudalism, Tahar Watar, earthquake, Constantine.